د. علي مرتضى الأمين



صادق حمزة الفاعور

١٨٩٤ - ١٩٢٦

د. علي مرتضى الأمين

ثائر من بلادي

صادق حمزة الفاعور

١٨٩٤ - ١٩٢٦

دار حيدر للطباعة والنشر

11/8/93

ثائِرٌ

مِنْ

بِلادي

صَادِق حَمْزَة الفَاعُورْ

١٨٩٤ - ١٩٢٦

دار حيدر
للطباعة والنشر

حاروف ـ تلفون ٣٤٦

الإهـــداء . .

بسم الله وبعد . .
أحييك تحية علم ومحبة
وأشهد أنك علمتني :

أن أكون باحثاً حراً . .
أن أقتل الحروف إحياء أو تحديثاً
أن أضحك للصعاب في كل آن
أن أرفع بيدي مشعل العطاء منيراً لوجه الله .

فإليك يا معلمي . .
أهدي باكورة إنتاجي . .
يزحمني أثناء مسيري إليك :

طمعي في حسن تقديرك
وتجاوزك عن كل خطأ تشهده . . .

إلى الدكتور : أسعد أحمد علي . .
مع أطيب التحيات . .

شقراء في ٢٨ /١١ /١٩٧٧

علي مرتضى الأمين

الفهـرست

٣ ـ الفصل الثالث : الصراع الدولي حول اقتسام أملاك السلطنة العثمانية

ـ تصور الحصص .
ـ العمل على تحقيق المطالب .
ـ تعارض المطالب .
ـ الاتفاقات السرية . . اتفاق فرنسا وبريطانيا .

٤ ـ الفصل الرابع : العامليون

ـ قبيل الحرب العالمية الأولى .
ـ إبان الحرب العالمية الأولى وبعدها مباشرة .
ـ الانتداب الفرنسي على لبنان : تصويره ـ إخراجه ـ تطبيقه ـ موقف اللبنانيين منه . توكيده .
ـ استنتاج وتقدير .

٥ ـ الفصل الخامس: صادق حمزة الفاعور

أ ـ سيرته : مسقط رأسه ، بيت والده ، مزار أخيه حسين ، تأثير أخبار عصابة أخيه على نفسيته .

ب ـ صادق حمزة الفاعور . . من هو . . أشكاله ـ صفاته ـ لباسه ـ طفولته ـ فراره والتحاقه بفرقة أخيه .

ج ـ تحول صادق من جندي إلى قائد عصابة ، بعض أعماله . . ـ وقعة المجادل . . .

د ـ تطاير أخباره : قتيل عين بوكسية
تسلط عصابة صادق
صادق والمحنة .
درس وتحليل .

واقع الحياة العاملية . وحرب الشائعات . محاولات إصلاح .
موقف صادق من هذه الاشاعات
درس وتحليل وتأمل .

و ـ المصالح المتصارعة :

١ ـ المصالح الفرنسية .

٢ ـ المصالح البريطانية .

٣ ـ المصالح العربية .

ز ـ الفرق المسلحة .

ـ تقدير عمل هذه الفرق .

ـ موقع صادق بين هذه الفرق .

٦ ـ الفصل السادس : أعمال صادق حمزة الفاعور قائد الفرقة

أ ـ أعمال صادق في لبنان .

ـ صادق والفرنسيون .

ـ معركة جسر القعقعية .

الهجوم الأول على صور ـ ملحوظة .

الهجوم الثاني على صور ـ ملحوظة .

نماذج من أعمال صادق العسكرية .

٢ ـ موقف أعيان البلاد والدولة الفرنسية من أعمال صادق .

أ ـ موقف أعيان البلاد .

ب ـ موقف الدولة الفرنسية : ١ ـ عسكري بحت ـ

٢ ـ عسكري ـ سياسي .

اجتماع هورا .

ـ اجتماع النبطية .

ـ تعليق حول وضع جويا السياسي في تلك الفترة .

ـ اجتماع صيدا .

ـ ضريبة صادق .

ـ حملة نيجر وخروج صادق من لبنان .

مقدمة الطبعة الأولى

إنها محاولة متواضعة لدراسة صفحة من صفحات جبل عامل أخذت على نفسي أن أمسح الغبار عنها بعد أن تراكم زمناً ، إذ خشيت أن تلحق بأخواتها اللواتي بَلِينَ بعد أن تُرِكَتْ هملاً عن قصد أو عن غير قَصَد وكاد ينساهن التاريخ أيضاً لولا قلة من العلماء والأدباء الذين اهتموا بشؤون وشجون هذا الجبل .

ومع أن البحث في تاريخ جبل عامل بوجه خاص عمل شاق يكتنفه الغموض ويحيط به الإبهام لقلة توفر المستندات وضياع الوثائق التي تمكن الباحث إن هو رجع إليها من تحليل الحوادث واستنباط الأدلة والبراهين .

فأكثر المؤلفات التي بحثت في تاريخ جبل عامل لعبت فيها أيدي الضياع وبددتها الحوادث في عصر كانت البلاد فيه تسبح في بحرٍ من الدماء تهزها الفتن وترهقها الحروب .

ومع هذا كله فقد رافقني شعور كظلي منذ زمنٍ وألح عليَّ وفائي لملاعب صباي أن أنقل قدمي ولو خطوة واحدة إلى الأمام على درب البحث المنهجي عليّ أوفق في كشف خبايا آثار من تقدم من العامليين .

وبعد جولات بحثٍ وتأمل وجدت نفسي محاطاً بزحمة مواضيع كلها تمدّ أعناقها من القمقم تحاول الإفلات .. تحدثت إلى غالبيتها .. ومن بين الزحام استوقفني صادق حمزة الفاعور .. فاستمعت إلى شكواه .. وأحببت

أن أتقصى أخباره .

وبدأت عملية بحث وتمحيص فوجدت الناس ـ عامة الناس ـ قد ظلموه . . فقد أخذوا بالشائعات وأطلقوا عليه وعلى أصحابه « عصابة صادق حمزة » فشعرت بالعطف عليه وأحببت أن ألاحق أخباره عليّ أرفع عنه ظلامة وذلك توضيحاً وكشفاً لحقيقة أخفيت ومن ثم تقديراً لجهد بذله .

فمضيت استنطق مختلف الصور التي علقت في أذهان الناس على اختلاف مستوياتهم وميولهم عليّ بذلك استطيع أن أتوصل إلى التعرف على صورة صادق الحقيقية . . . إذ ليس من المستبعد أن يكون بعضهم قد شوه صورته عن عمدٍ أو عن غير عمد . . وحسبي أنني إذا استطعت أن أصل إلى حقيقة أمره وتحديد موقعه الفعلي فأكون بذلك قد أعدت إليه لباسه الذي أحبه وارتداه زمناً واعتز به . . . ويسعدني أنني فعلت كل ذلك تقديراً مني لجهدٍ بذله هذا الإنسان طيلة فترة زمنية دقيقة وحرجة من فترات البؤس التي مرّت على جبل عامل .

وحسبي أنني أكون قد صححت الخطأ الشائع أو دفعت إدعاءات أولئك المنظّرين الذين يقعدون عادة على « الصّفات » أو « المصطبات » في الساحات العامة يعرّون الناس من ثيابهم تارة أو يلبستونهم الزي الذي يريدونه هم في حين أنهم هم عراة أبداً إذ لا عمل يختصون به فيخدمون بواسطته المجتمع الذي يعايشون .

وفوق ذلك فإنني على يقين من أن التاريخ العاملي المقروء حالياً كتبه :

أ ـ من كان بعيداً عن هذا الجبل إبان الأحداث التي سجل خطواتها . . ولذا فهو قد كتب ما نمي إليه أو ما عرض عليه أو أتيح له الإطلاع عليه فوجده يتلاءم مع ميوله فكان التشويه .

ولا استبعد أبداً أن يكون ذلك التشويه قد وضع عن عمد وبمكيافيلية . . فالغاية عند هذا تبرر الوسيلة .

ب ـ أن يكـون الكاتب عـاملياً بـالولادة بعيـداً عنه بـالولاء . وأمثـال هذا الكاتب كثر هذه الأيام فجلهم ـ وبكلّ أسف ـ يكتبون وصولياً وتجنياً .
ولم يفطن هؤلاء إلى أنهم أضاعوا أنفسهم من قبل أن يضيعوا تاريـخ شعب وهبهم شرف الإنتماء إليه .

ج ـ الندرة وحدهم كتبوا تاريخ هذا الجبـل بصدق ولكن كتـاباتهم ـ بفعـل الظروف السياسية ـ ظلت حبيسة أدراجهم . . . فالموت أو التشريد عقاب مسلط فوق رؤوسهم أبداً إذا اكتشف أمرهم . . فضاعت تلك الكتابات على أهميتها . . وكأن أصحابها لم يكتبوا ليقرأ الناس إنمـا كانت كتـاباتهم بمثـابـة « فشـة خلق وأداء واجب وطني وخلقي . . . » وهـذا أضعف الإيمان .

من هنا كانت حـاجة الـطلاب العامليـين اليوم إلى مـراجع ومصـادر صـادقة القـول ليكتبوا تـاريخاً صـادقاً وواضحـاً . . ومن هنا نجـد غالبيـة الباحثين يهربون من حفائر أسهل طرقاً وأوفر مادة وإن كانت تقـوم في بقاع تبعد كثيراً عن قمم وتلال هذا الجبل الاشم حيث كانت تلك التلال ـ ولا تزال ـ منارات في التاريخ .

ولما كنت أفتقر كغـيري إلى المراجـع والمصادر التي تحـدثت يومـاً عن صادق حمزة . . فإنني أقول أنني لم أنتقل أبداً إلى حفيرة غير عاملية . . بـل صممت ـ ومنذ بدء رحلتي ـ أن أنبش بأصابعي كل مسلك من مسالك تلك الحفائر العاملية . . وإن صدمني الواقـع واضطرتني طـرق المعرفـة إلى عبور مسالك أخرى وذات أبعاد . . فإنني عاهدت نفسي أن أجعل خطواتي قصيرة المدى فوق تلك الدرب . . وما أمكنني ذلك . .

من أجل ذلك . . وبمثل هذه القنـاعة بـدأت جولـة على المكتبـات ـ الخـاصة والعـامة ـ أبحث فـوق رفوفهـا عن كتب سبق علمي أن واضعيها اهتموا بالتاريخ العاملي وأنهم سجلوا ما وصلوا إليه بعد بحثٍ وتمحيص .

وكان أن تعرفت أثناء بحثي على كتب أخرى أشارت فهارسها إلى أن

واضعيها كتبوا عن بعض الزوايا العاملية .

وأذكر على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ محسن الأمين في خططه . . طبعة أولى ١٩٦١ مطبعة الإنصاف ـ بيروت .

٢ ـ حسن الأمين في : حمد بك المحمود أو الحياة الشعرية في جبل عامل طبعة أولى ١٩٧٤ . دار الرائد العربي . بيروت .

٣ ـ علي الزين في كتابيه : مع الأدب العاملي ، الطبعة الجديدة . ـ للبحث عن تاريخنا في لبنان ، طبعة أولى ١٩٧٤ . . .

أما الكتب التي أشارت فهارسها إلى عناوين تتعرض لأحداث عامل عرضاً فأذكر منها :

١ ـ سلام الراسي : المؤلفات الكاملة طبعة ثانية ١٩٧٧ مؤسسة نوفل ـ بيروت .

٢ ـ جورج انطونيوس في : يقظة العرب أو حركة العرب القومية ، طبعة ثالثة ـ ١٩٦٩ ترجمة الدكتورين : إحسان عباس وناصر الدين أسعد . دار العلم للملايين ـ بيروت .

٣ ـ زين نور الدين زين في كتابيه :

أ : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان . طبعة ثانية ١٩٧٧ ، دار النهار ـ بيروت .

ب : نشوء القومية العربية مع دراسات في العلاقات العربية ـ التركية . طبعة ثانية ١٩٧٢ ، دار النهار ـ بيروت .

٤ ـ مسعود ضاهر في : تاريخ لبنان الإجتماعي طبعة ١٩٧٤ دار الفارابي ـ بيروت .

٥ ـ مذكرات أحمد رضا : نشرت على صفحات مجلة العرفان المجلدات :

م : رقم ٣٣ الأجزاء ٢ ـ ٣ ـ ٥ .

م : رقم ٣٤ الأجزاء ٣ ـ ٦ ـ ٨ .

م : رقم ٣٥ الجزء ٧ .

وبعدها عدت إلى نتف أخبار نُشرت على صفحات جرائد يومية أذكر منها :

جريدة البشير لسنتي : ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ .

جريدة لسان الحال لسنة : ١٩٢٠ .

مجلة المشرق لسنة ١٩٢٠ .

مجلة الحرية : العددان : ٨٤٥ ـ ٨٤٦ .

وبعد جولة واعية مع تلك المصادر وبقصد الإستزادة من أخبار صادق وجدتني بحاجة ماسة إلى تقصي أخبار هذا الإنسان عبر حكايا الشيوخ من أبناء قريته وعبر شيوخ القرى المجاورة . فكانت بيني وبين هؤلاء الشيوخ لقاءات استطعت خلالها أن أصل إلى الغاية التي كنت أبحث عنها . . ألا وهي إجلاء صورة هذا الإنسان . . .

وكانت حكايا ساحات القرى التي مر بها صادق حمزة الفاعور ورفاقه . . وما وجدته لا يزال عالقاً بذاكرة رفاق دربه ممن كانوا لا يزالون على قيد الحياة ولمّا يزل واحدهم يحافظ على وعيه وقد تجاوز التسعين من عمره أو كاد .

كانت تلك الذكريات وتلك الحكايا محطات توقفت فيها أثناء سيري وجمعت حصيلتها وأضفتها إلى نتف الأخبار المبعثرة هنا وهناك على صفحات الكتب والمجلات وجعلتها مصادري ومراجعي في هذا التحقيق الذي أعرض فيه سيرة ثائر من بلادي وهو صادق حمزة الفاعور مستعرضاً كل الأوضاع الإجتماعية والسياسية التي أثرت في نمو سلوكه وحددت مساره .

هذا مع اعلم أنني وَفَّقْتُ بين تلك الحكايا وقابلت بين المتشابه منها ثم أخذت ما وجدته معقولاً فصغته بلغتي بعد أن خَلَّصْتُهُ من عوراته وهذبت

ألفاظه دون أن أمس المعنى ثم استأذنت محدثني بعد أن عرضت عليه الصيغة الجديدة بنشر هذه المعلومات .

وقد تبين لي بعد كل تلك المراجعات أن هذا الإنسان صادق حمزة الفاعور ثار على خنوع مجتمعه وقام لأجلهم وتمرّد على النظام السائد في تلك الحقبة المظلمة ورضي أن يعيش طائحاً فراراً في الكهوف والمغاور .

ومن أجل اختياره هذا اخترت له أنا هذا الاسم وجعلته عنوان كتابي هذا .

وبعد فإنني لم أدخر جهداً في البحث والتنقيب عن أخبار هذا الإنسان وقد أمضيت وقتاً طويلاً أفحص ما وصلت إليه وأقارن بين كل المعطيات التي تكوَّنت لديَّ . . وربما يكون قد فاتني من أخباره أمور لم تتناه إلى سمعي أو نظري فللبحث إعتذاري .

على أنني أقول أنني عثرت أثناء البحث على مواضيع عاملية تدعوني بإلحاح . . وهي بنظري جديرة باهتمام الباحثين العامليين سيما أبناء عاملة منهم فهي تناديهم وتلح على كل منهم أن ينفض عنها الغبار المتراكم فيعود لونها براقاً .

أذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ الأسر الاقطاعية في جبل عامل خلال القرنين ١٨ ـ ١٩ .
٢ ـ الكتاتيب العاملية ودورها في حفظ اللغة العربية ووجوب إبراز أثرها من الناحيتين السياسية والاجتماعية .

٣ ـ علماء عامل : رسل علم وحضارة .

وقد تركت هذه المواضيع كلها على أمل العودة إليها متى أُتيحت لي ظروف العودة . . أو لعلها تجد عناية بعض الباحثين .

وأخيراً أرجو أن أكون قد حققت ما كنت أصبو إليه فأنصفت هذا الرجل ورفعت الظلامة عنه . . وعسى أن تكون خطوتي هذه فاتحة خطوات

أكمـل بهـا دربي وأحقق كشف بعض مـا بقي غـامضـاً في تلك الـروابي العاملية .

ولا يسعني بعد هذا إلا أن أتقدم بالشكر الصادق من جميـع الشيوخ الفضلاء الذين منحوني من وقتهم الكثير إذ رووا على مسمعي ما شهدوا أو ما سمعوا من أخبار صادق حمزة الفاعور وحتى ما اتصل إليهم بالتواتر . . . فكانت شهاداتهم على ما اتفق عليه اجماع شهود الحال لا على مجرد ذكريات فردية .

كما أنني لن أنسى أن أشكر أولئك الذين سـاعدوني بتشجيعهم إيـاي أو بتسهيل تنقلاتي بين القرى . . .

لهؤلاء جميعاً شكري وحبي . . .

أسأل الله العصمة من الخطأ . . فهو ولي التوفيق .

شقراء في ٥ /١٢/ ١٩٧٧

علي الأمين

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله وبعد :

حكايتي مع الطبعة الأولى لهذا الكتاب كانت غريبة . . . إذ كنت يومها قد حزمت أمتعي وعقدت العزم عن السفر إلى لندن لإجراء عملية جراحية في القلب .

وأنا على عتبة الإنتقال إلى مطار بيروت دخل عليّ تلميذ قديم وديع ومهذب حلو الكلام . تكلم بحب وأمل وكان يصحبه كما عرفني دكتور في اللغة العربية . . عرفني إسمه ولكنني نسيت . . .

وبعد حديث لم يطل اعلمني انه يملك دار نشر . . وانه يريد أن يتوج انتاج داره بنشر كتاب أكون أنا واضع حروفه .

أعجبني كلامه . . فسلمته مخطوطة صادق حمزة الفاعور وسافرت . وبعد عودتي راجعته بواسطة أصدقاء مشتركين فكانت إجاباته مبهمه . . ثم فوجئت بأن المخطوطة قد أصبحت كتاباً يوزع في الأسواق فاتصلت به من جديد . . . فأكد لي أنه أصدر الكتاب ولكنه لم يوزعه بعد . . . ثم أحضر لي نسخاً من الكتاب للإطلاع وإبداء الرأي . . .

وبعد القراءة رأيت أن الكتاب حمل عدداً هائلاً من الأخطاء الإملائية والقواعدية . . وإن المخطوط قد تعرض إلى تحوير وتبديل في التوزيع . . .

وأظن أن هذا التحوير هو الذي دفع الأستاذ محمد علي فرحات مشكوراً لأن يختار لما قرأ عنواناً يوافق الواقع وهو: « الفتوة اللبناني بين العصابة والوطن » حملته جريدة السفير على صفحتها الثامنة بتاريخ ٢٤ /٥/ ١٩٨٥ . . .

بعد هذا قدمت لصاحبِ دارالنشر جدول خطأ وصواب ورجوته ان يُلْحِقَ هذا الجدول بالكتاب ما دام لم يوزعه بعد فلم يفعل . . وعندها وجهت اليه كتاباً بواسطة البريد المضمون يحمل الرقم ٥٧٠ مع اشعار بالإستلام . فرجع إليَّ ذلك الإشعار وقد أوضح أنه تم تسلم الكتاب إلى شقيق صاحب الدار نيابة عنه لأنه كان غائباً عن لبنان . . وقد تم ذلك بتاريخ ٢٤ /٩/ ١٩٨٥ . .

وكان ذلك الكتاب صادراً عن كتابة عدل جويا بتاريخ ٢٣ أيلول ١٩٨٦ تحت عدد ١٩٨٥ /١٧٦٩ .

عزّ عليَّ جداً أن تتحول الصداقة إلى هذا النوع من التعامل ، وعزّ عليَّ أن يمسخ ذلك البطل الثائر فيبدو قزماً بعد أن كنت قد أعدت إليه شبابه وزهوه فغدا يخطر فوق روابي عامل يتفقد غرساته التي ما زالت إلى اليوم تقدم في كل موسم قوافل ثوار مجاهدين .

وآلمني أن أبصر ذلك المارد وقد أطلقته من قمقمه حراً طليقاً يعود إليه مقيداً حبيساً مهيض الجناح .

من أجل هذا كله . . . ومن أجل إنصاف هذا الإنسان المظلوم ـ صادق حمزة الفاعور ـ أجدني مضطراً لإعادة الكتابة بعد توزيع المعطيات من جديد على أمل أن أخلّصه من ثوبه الذي ألبسته إياه الظروف والمعطيات عليّ بذلك أستطيع أن أُعيد إليه مرة ثانية مظهره الواقعي وأن ألبسه ثوبه الذي عشقه ولم يتخلَ عنه أبداً .

راجياً أن أمحو من أذهان القراء الأحباء ما لحق بها من تشويه صورة صادق حمزة الفاعور الثائر .

لكـل القراء الكـرام . . . ولكـل من كتبَ أو لاحظ عـلى صفحـات جريدة أو مجلة . . لكل هؤلاء حبي وشكري وإعتذاري .

فالله وحده هو الذي يعصم . . . وهو ولي التوفيق .

جويا ١/٩/١٩٨٦

علي الأمين

الفصل الأول

أ ـ أهمية الموقع الجغرافي للوطن العربي

ب ـ جبل عامل جزء من الوطن العربي

- ـ التعريف به .
- ـ تسميته .
- ـ حدوده .
- ـ أقسامه .
- ـ ميزاته .

ج ـ الأقسام السياسية لجبل عامل في العهد التركي .

أ ـ أهمية الموقع الجغرافي للوطن العربي

ينبسط الوطن العربي فوق مساحة مترامية الأطراف تكوِّن جزءاً هاماً من أرض قارتين تمتدان إلى عمق التاريخ هما قارتا : آسية وافريقيا . وكانتا محط أنظار العالم القديم ولا تزالان كذلك في العصر الحديث .

ولذا فقد تميز هذا الوطن بالأمور التالية :

١ ـ تمر فوق أرضه وعبرها الطرق التجارية التي تربط الشرق بالغرب .

٢ ـ من جوفه تخرج ينابيع البترول ـ الذهب الأسود ـ وفي باطن صحاريه يتجمّع مخزون بترولي هائل يتجاوز ثلثي المخزون العالمي من هذه المادة . وهذا المخزون يلعب دوراً بارزاً في الإقتصاد العالمي .

٣ ـ على شواطئه تقوم موانىء مائية هامة وعلى أجزاء من أرضه أُنشئت ممرات مائية اختزلت المسافات بين القارات وتدعم اقتصاديات الدول .

هذه المساحة المميزة كانت ولا تزال محط أنظار الدول الإقتصادية الكبرى . . . وإليها رنت أعين الطامحين ومن أجلها تزاحمت الرغائب ووقعت الحروب أو عقدت المعاهدات .

ب ـ جبل عامل جزء من الوطن العربي

١ ـ حدوده :

لا أجدني مضطراً للحديث التفصيلي عن حدود جبل عامل فقد أسهب الباحثون في الحديث عن تلك الحدود وتوكيد امتدادها . . .

وبإمكان الباحث عن أدق تفاصيلها أن يعود وبسهولة إلى عدد وافر من الكتب التي اعتنى واضعوها بتفاصيل تلك الحدود .

وأذكر منها على سبيل المثال :

- خطط جبل عامل للسيد محسن الأمين .
- للبحث عن تاريخنا للشيخ علي الزين .
- الذكريات للسيد حسن الأمين .
- تاريخ الشيعة للسيد محمد حسين المظفر .
- تاريخ جبل عامل للسيد محمد جابر آل صفا العاملي .

تتكون مساحة هذا الجبل من عددٍ وافر من الهضاب والأودية وتمتاز بجودة مناخها وخصب تربتها وقد كانت إلى حين مكسوة بالغابات الحرجية الكثيفة شأنها في ذلك شأن سائر المناطق اللبنانية ولكن يد العاملي حوّلت تلك التلال الخضراء أبداً منحدرات جرداء قاحلة . . ثم عرّتها الرياح والأمطار من تربتها فبدت في كثيرٍ من أقسامها صخرية ملساء .

٢ ـ السكان :

« أما سكان هذا الجبل فيُعرفون بقدوم انتمائهم إلى العربية . . وبصفاء لهجتهم وبأنهم مسالمون وادعون سريعو التأقلم أنّ أقاموا . . »[1] .

إن هذه البقعة المعروفة بجبل عامل أو جبال بني عاملة هي ذت ماضٍ مجيد وتاريخ مفعم بالعظائم . توزعت فوق روابيه دور علم واغتنت مكتباته بالمؤلفات النادرة والمخطوطات الثمينة ، وانتشرت في قراه أندية الأدب حيث كانت تعمر بالقريض وشتى فنون اللغة .

وقد تخرّج من تلك الكتاتيب علماء أعلام وشعراء كبار ونبغ منهم رياضيون ومخترعون وكتبة ومؤلفون .

وإلى جانب هذا الدفق من العطاء فقد جرت فوق أرضه على ضيق مساحتها وصغر حجمها حروب دامية ومعارك ضارية حيث قاوم سكانه الظلم مقاومة عنيفة ودافعوا عن كيانهم دفاع الأبطال .

٣ ـ الأقسام السياسية لجبل عامل في العهد التركي :

كان جبل عامل ينقسم من حيث الإدارة إلى ثماني نواحي أو مقاطعات . . وكانت تلحق بكل ناحية عدد من القرى . . وكان هذا النظام أشبه ما يكون بنظام القائمقامية المعروف آنياً .

وكان يحكم كل ناحية من هذه النواحي حاكم واحد يفرض عليه الحاكم العام مبلغاً من المال يترتب عليه دفعه كل سنة لخزينة الدول على أن يستولي هو من أهل البلاد ما فرضه هو على كل مكلف منهم من خراج أو ضرائب متنوعة .

مع العلم أن هذه الضرائب كانت قابلة للزيادة أو النقصان تبعاً

---

(١) محسن الأمين : الخطط : الجزء الأول . مطبعة الإنصاف بيروت ١٩٦١ ص ٥٦ .

لرغبات الحاكم المحلي . . . ولكنها لم تخفض يوماً ـ حسب اعتقادي ـ .

وكانت القوانين المرعية تسمح للمظلوم برفع شكواه إلى الحاكم العام . . ولكن ذلك لم يحصل أبداً ، ذلك لأن الحاكم العام كان دائماً يصم سمعه ولا يلتفت إلى مثل هذه الشكاوي . . . فهو قد قبض سلفاً ثمن هذا الصمم . . والسكوت .

أما النواحي العاملية الثمانية فقد كانت موزعة كما يلي :

١ ـ تقع أربع منها في القسم الجنوبي . . . وتسمّى بلاد بشارة، نسبة إلى رجل عُرف بابن بشارة وقيل : إنه هو الذي عمّر (من العمران) مدينة صور وجعل لها أسواقاً .

المناطق الجنوبية الأربعة هي :

١ ـ جبل هونين ـ أو ناحية هونين : كانت قاعدتها مدينة بنت جبيل .

٢ ـ جبل تبنين أو ناحية تبنين : وقاعدتها بلدة تبنين .

٣ ـ ساحل قانا (الجليل) ؛ قاعدته بلدة قانا الجليل .

٤ ـ ساحل معركة : قاعدته صور .

وأما الأربع الأخرى فهي تقع في القسم الشمالي وهي :

١ ـ ناحية الشقيف (أرنون) : قاعدتها النبطية .

٢ ـ ناحية الشومر : قاعدتها قرية أنصار .

٣ ـ ناحية التفاح : قاعدتها بلدة جباع .

٤ ـ ناحية جزين : قاعدتها جزين »[1] .

---

(١) محسن الأمين : الخطط : الجزء الأول . مطبعة الإنصاف بيروت ١٩٦١ ص ١١٠ وما يلي بتصرف .

الفصل الثاني

- العامليون في ظل العهد التركي .

١ ـ الوضع الاقتصادي .
٢ ـ الوضع الإجتماعي .
٣ ـ العلاقات : الشيعية ـ المسيحية .
- قبل صدور قانون الجندية .
- بعد صدور قانون الجندية .
٤ ـ قانون التجنيد الإجباري .
٥ ـ ظهور حركات الفرار .
٦ ـ نماذج من تلك الفرق :
- فرقة الشيخ علي الحجار .
- فرقة إبراهيم فرنسيس .
٧ ـ حياة الفرار وأسلحتهم .

العامليون في ظل العهد التركي

١ ـ الوضع الإقتصادي :

حكم الأتراك البلاد حكماً قاسياً شديداً وعبثوا بمقدرات البلاد وفرقوا كلمة السكان وعمدوا إلى إقصاء ذوي الاقطاعات ورؤساء العشائر عن الحكم وكل أنواع السيطرة في حين أنهم منحوا وجهاء ورؤساء الدرجة الثانية ترقيات وامتيازات واسعة حتى أنهم غدوا لا يردون لهم مطلباً .

وهذا الوضع الجديد المستحدث أدى إلى نشوب خلاف بيّن بين فئتين من السكان . . . فأغرى رجال كل فئة منهم برجال الفئة الثانية ، فعلوا ذلك كله ليتسنى لهم وحدهم حكم البلاد على هواهم .

وبعد هذا عمل الأتراك على ضرب اقتصاديات البلاد ضرباتٍ أليمة . . فقضوا على زراعة التبغ بالحصر وكانت هذه الزراعة تشكل المورد الوحيد لسكان جبل عامل منذ زمن بعيد وفوق ذلك فقد فرضوا على العامليين ضرائب متعددة ضمنتها قوانين أهمها :

١ ـ **ويركو** : رسم مقطوع على الأرض مطلقاً .

٢ ـ **أعشار** : رسم على نتاج الأرض والشجر وكان يُجبى هذا الرسم بطريق الإلتزام .

٣ ـ **المسقفات** : رسم على الدور والبيوت .

٤ ـ **بدلات طرق** : رسم على كل شخص ذكر تراوح عمره بين ١٦ ـ ٦٠ سنة .

وكان هذا القانون يقضي أن يعمل المكلف مدة أربعة أيام باصلاح الطرق التي تنشئها الدولة .

وقد أقرت الدولة مبدأ دفع البدل فحددت مقداره بـ ١٦ غ أميرياً .

٥ ـ ويركو شخصي : رسم فرض على التجار والباعة .

وقد سارت الدولة التركية بهذه القوانين على غير هدى وبما لا يتفق مع نصوص الأنظمة والقوانين الصادرة عنها فسادت الفوضى ووقعت البلاد في فقرٍ مدقع وامتدت أيدي اللصوص وقطاع الطرق إلى مال الشعب البائس فاختل الأمن وبارت الأرض .

وقد لعب الاقطاعيون ووكلاء السلطة العثمانية المحليون دوراً بارزاً في عمليات السلب والنهب إذ أنهم كانوا يستولون على نسبة ٩٠٪ من انتاج البلاد العام في حين لم تتجاوز نسبة هؤلاء عن الـ١٪ من مجموع السكان . . وكان الفلاج في ذلك الحين لا يكاد يحصل على القليل الضروري لبقائه .

وكذلك كانت حال العمال وصيادي الأسماك والحرفيين العامليين الذين كانوا يعملون في المدن . وكان من نتيجة ذلك أن خسرت البلاد مالها ورجالها وقضت الأحداث على المهن اليدوية البسيطة التي لم تعد تسمح لأصحابها بالتفكير حتى بالضروريات الحياتيّة اليومية .

ولم يكَفِ الشعب العاملي ما آلت إليه حاله الإقتصادية فكأنما تآمر الجراد أيضاً عليه مع الدولة العثمانية فأكل الأخضر واليابس على ندرتهما في ذلك الحين .

وكانت تلك الأنظمة والقوانين التي أصدرتها الدولة العثمانية حبراً على ورق . . فقد فسرها عمالها بما يتناسب مع مصالحهم . . ومن أجل تطبيقها فتحت أبواب السلب والرشوة على مصاريعها وضغط كبار الموظفين على الصغار منهم ودفعوهم دفعاً لنهب المواطنين وسلبهم كل ما كانوا يملكون . وغدا الشعب في أواخر حكم السلطان عبد الحميد الثاني يعاني سكرات

الموْت البطيء جوعاً .

وكان من نتيجة ذلك أن خسرت البلاد مالها ورجالها . .

٢ ـ الوضع الإجتماعي :

رافقت الدعوة الطورانية حملات الاقطاعيين والوكلاء والموظفين الأتراك فظهرت صريحة جلية على صفحات جريدة « طنين » التركية تردد : « لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً كأنهم ليسوا تحت حكم الترك . فمن واجبات الباب العالي بهذه الحال أن ينسيهم لغتهم ، وأن يجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم . فإذا أهمل هذا الواجب كان كمن يسعى إلى حتفه بظلفه لأن العرب لن ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم . . وأنهم سيعملون عاجلاً على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية على أنقاض دولة الترك »[١] .

في هذه الدعوة الصريحة تستطيع أن تقرأ وبوضوح الخطوط العريضة للسياسة العثمانية ، وتكاد ترى تحركاتها وتصرفاتها مع الناس بوضوح أيضاً .

وقد ظهرت نتائج تلك التصرفات عبر التقارير والرسائل التي صدرت عن مراسلين أجانب عاشوا تلك الأحداث وشهدوها فكانت تقاريرهم تصور حالة الناس من الناحية الاجتماعية في ظل الحكم التركي وعلى سبيل المثال أورد ما يلي :

« جاء في التقرير السنوي حول تركيا لدولة بريطانيا عام ١٩٠٨ ما نصه : « في الشهور السبعة الأولى لا يجد المرء سوى الشكوى من كل نوع . الشكوى من فقدان العدالة ، من الرشوة ، والعناد من الوالي نفسه (وكانوا يعتبرونه المجرم الأول) . . إلى أدنى موظف في الدولة ولم يكن في البلاد

---

(١) محمد جابر آل صفا العاملي : تاريخ جبل عامل ، دار متن اللغة ، بيروت ص ٢١٣ .

أمن . . وكان التهريب على قدم وساق والغريب أنه كان يجري بطريقة منظمة »[1] .

وكان مؤتمر الإتحاديين السري الذي انعقد عام ١٩١١ م . قد قرر تتريك العناصر الغير تركية في البلاد الخاضعة لسيطرتهم .

وقد استطاع هؤلاء المؤتمرون :

١ ـ أن يصدقوا وبصورة رسمية على قانون أصدروه من أجل تلك الغاية .

٢ ـ أن يقتلوا كل حركة عنصرية عند ظهورها وذلك عن طريق إستعمال الشدة مع الوطنيين . ولا مانع من إغتيال الرجال البارزين منهم إذا اقتضى الأمر .

ومع العلم أن هذه القوانين ظلت طيّ الخفاء ذلك لكونها بطبيعتها سلبية إلا أن الأتراك ساروا بها على مراحل . . وكان من النتائج التي أسفر عنها هذا التصميم ظهور برنامج التتريك الذي حاولت جمعية تركيا الفتاة فرضه وتحقيقه فكان من نتيجة هذا الإصرار التركي أن تمسك زعماء العرب بقوميتهم ومن ثم رفعوا أصواتهم مطالبين بالاستقلال التام . . وكان هذا أيضاً عاملاً قوياً في توحيد القوى وجمع الصفوف .

وعلى رغم أنك كنت تسمع شكوى الناس في كل مجتمع : مسيحياً كان أم إسلامياً . . . وعلى رغم أنهم كانوا بمختلف فئاتهم يوجهون النقد اللاذع لسير المعاملات الرسمية .

رغم كل ذلك فإنك كنت قلّ أن تسمع نقداً بناءاً . . ذلك لأن الحكومة ظلت في نظر الناس تشكل قوة مستقلة لا تصلها بالمحكوم رابطة .

---

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، دار النهار للنشر ، بيروت طبعة ثانية ص ١٠٤ .

٣ ـ العلاقات المسيحية ـ الشيعية في جبل عامل

مرت العلاقات بين أبناء الطائفتين في مرحلتين :

أ ـ قبل صدور قانون الجندية .

يهمني في بحثي هذا أن أحدد معالم مسرح الأحداث التي لاحقتها . . فهي لم تشمل أرض عامل كلها وإنما كانت محصورة بما يُعرف اليوم بقضاءي : صور وبنت جبيل وأجزاء قليلة من قضاءي : النبطية ومرجعيون .

إن هذه الرقعة من جبل عامل تضم إلى جانب القرى الشيعية الكثيرة المنتشرة فوقها عدداً من القرى المسيحية .

فقد عاش عدد من المواطنين المسيحيين والشيعة في قرى خاصة بهم حيث لم تكن بين أبناء الطائفتين مشاركة سكنى . في حين أن قرى أخرى عاملية ضمت داخل حدودها عدداً اختلفت نسب تقديره تبعاً للظروف . . وعرفت باسم القرى المشتركة .

وعلى سبيل المثال . . ومن أجل الإيضاح أورد أسماء القرى التالية بعد تصنيفها بالنسبة لتوزيع سكانها الطائفي . . .

١ ـ **قرى مسيحية (لا يسكنها مسلمون) وهي** : ديردغيا ـ النفاخية ـ الطويري ـ عين إبل ـ القليعة ـ دير ميماس ـ الكفور ـ الخربة (مرجعيون) . .

٢ ـ **قرى مشتركة (يسكنها مسيحيون وشيعة) وهي** : صور ـ قانا ـ

تبنين ـ برعشيت ـ القوزح ـ صفد البطيخ ـ يارون ـ مّرجعيون ـ الخيام ـ النبطية . وعفواً إن نسيت ذكر قرى أخرى .

حياة السكان في هذه القرى :

مرت حياة هؤلاء السكان في دورين :

أ ـ قبل صدور قانون الجندية :

عاش سكان هذه القرى برغد عيش وراحة بال مع جيرانهم طيلة العهود الماضية فهم يتزاورون ويتعاونون في كل أعمالهم اليومية ويتقاسمون المصير المشترك في ظل العهد التركي .

فالمسيحيون ـ وكانوا يمثلون الأقليات بالنسبة لعدد سكان المنطقة ـ كانوا بنظر الدولة العثمانية تماماً كما كان جيرانهم الشيعة ، مواطنين من الدرجة الثانية . وكان وضعهم تماماً من حيث التقدير والمنزلة . . وهذا الواقع التعاملي شد المسيحيين إلى هؤلاء المسلمين وأدرك الطرفان أن مصيرهم مشترك وأن عليهم مجتمعين أن يعملوا للخلاص معاً من قسوة النظام السائد وتصرفات الحكام الظالمين .

وظل هذا الشعور يوحّد بين أبناء هاتين الطائفتين حتى اليوم . . وكثيراً ما يشهد المراقب المحايد الواعي ترابط المصالح بين المواطن المسيحي والمواطن الشيعي في جميع القرى الآنفة الذكر . . فكل أملاك الأديرة والرهبانيات في المنطقة مثلاً يديرها شيعيون وبأمرٍ من راعي الأبرشية أو بإشراف ممثل عنه .

إلى جانب ذلك فإن الباحث يجد انتظام شراكة في عمل يومي يقوم بين مواطنين من الطائفتين وقد تمتد تلك الشراكة بينهما لتشمل مثلاً ملكية فرس واحدة . . وهذه الشراكة بنظري تؤكد مدى التعاون الصادق الأخوي الذي كان يسوس العلاقات الحياتية اليومية في كل ربوع عاملة .

ب ـ بعد صدور قانون الجندية :

نعمت القرى المسيحية في ظل قانون الجندية بزحمة مواطنين ورتابة عمل . ذلك لأن شبابها لم يساقوا إلى الحرب قسراً فقد شملهم الإعفاء الذي حمله ذلك القانون . ولذا فقد استمر هؤلاء في أعمالهم يحيون الأرض الميتة . أو يزرعون أو يمارسون صناعاتهم اليدوية .

وإن كان قد هاجر عدد من أبناء هذه الطائفة إلى إحدى الأميركتين فقد غدا هؤلاء المهاجرون مورداً إقتصادياً جديداً يغذي أقرباءهم المقيمين ويدعم اقتصاديات قراهم .

ومن هنا فقد نَعِمَتْ تلك القرى بوضع اقتصادي متميّز .

في حين أن القرى الشيعية المجاورة ـ وهذه لم يشملها عفو القانون ـ فقد أصبحت تفتقر إلى كل طاقة منتجة قادرة على العمل كيف لا وقد سيق بنوها إلى الحرب عنوة . . فغدت أرضهم الزراعية عاطلة وتوقفت أعمالهم اليدوية . . وبذلك انقطع كل دخل يومي . . وانتصب الجوع ينخر العظام ويهد الأجسام . . واستطاعت الإشاعات أن تنفذ إلى قلوب ضعاف العقول ولم يستطع العقلاء من الفريقين القضاء على إيقاف تلك الفتن فوقع الخلاف بين أبناء القرية الواحدة . . وكانت حوادث دامية ألقت بأولئك الآمنين في أتون نار حامية . . أذكتها رياح تعصب طائفي بغيض . . وبدأت سلسلة عمليات الإعتداء على أبناء السبيل والفقراء من الطائفتين .

وكان لأصحاب السياسة في ذلك الوقت نصيب وافر بإذكاء ذلك الخلاف فشهدت المنطقة حالة فوضى وخلافات .

وتركت تلك الأحداث الدامية آثاراً نفسية مؤلمة ما تزال ماثلة في الأذهان والنفوس إلى اليوم .

فبعد أن مسخت وحوّلت إلى أحداث طائفية ذميمة أصبح ذكرها بالنسبة للعامة من المسيحيين الجنوبيين يعني تَذَكُّرُهُمْ لتعصب الشيعة الطائفي

في حين أن الشيعة رأوا فيها نقطة سوداء لطخت تاريخهم وباتوا يخجلون حتى من ذكرها .

وذلك ليس لأنهم يعترفون بذنب اقترفوه إنما لأن مثل هذه الأعمال التي أُلصقت بهم ليست من طباعهم كما أنها لا تتـوافق مع مـا آمنوا بـه وعملوا له . . .

٥ ـ قانون التجنيد الإجباري

وضعت الحكومة التركية قانون التجنيد الإجباري وأسمته القرعة المحمدية وفرضته على أبناء الطوائف الإسلامية في حين أنها أعفت من موجباته أبناء الطوائف غير المحمدية . . وذلك باعتبارهم ذميين . وكأنهم ليسوا مواطنين يتهددهم كالمسلمين خطر الغزاة . . أو أنهم يحتاجون لتوفير الأمن والاستقرار .

مع العلم أن الدولة التركية فرضت على هؤلاء الذميين بدلاً نقدياً أسمته العسكرية . وكانت تتقاضاه منهم دون أن تضع قاعدة جباية تُتَّبع أو أصولاً تُراعى . إنما كان يتم ذلك مزاجياً .

وقد حدد هذا القانون مدة التجنيد بعشرين سنة مقسمة على مراحل ثلاث :

الأولى : عسكرية أو احتياط مدتها ست سنوات ٦ .

الثانية : رديف مدتها ثماني سنوات ٨ .

الثالثة : مستحفظ مدتها ست سنوات »[1] ٦ .

---

(١) محمد جابر آل صفا العاملي : تاريخ جبل عامل ، دار متن اللغة ، بيروت عن الصفحات ١٦٦، ١٦٧ ، ١٦٨ بتصرف .

وكانت المدة وحدها تشكل هم الدولة من هذا القانون ولذا نراها تصدر بعد هذا القانون قانوناً ثانياً يقضي بقبول البدل النقدي فقالت : إن على من لا يرغب في الانتظام في السلك العسكري دفع بدل نقدي .

وقد حُدد البدل النقدي عن المرحلة الأولى فقط وهي مرحلة سني العسكرية مرات ثلاث متتاليات :

الأولى : وكانت في البدء مئة ليرة ذهبية .

الثانية : بعد فترة أصبحت ثمانين ليرة ذهبية .

الثالثة : وقد خفضت إلى خمسين ليرة ذهبية .

وأظن أن هذا التخفيض المتلاحق كان بناء على عدم توفر مثل هذه المبالغ الضخمة مع أولياء المطلوبين . وبعد وضوح عجزهم عن تقديم البدل .

يؤكد ذلك صدور قانون لاحق جديد عن الدولة العثمانية وزعت بموجبه الخدمة العسكرية على مراحل أربع بدلاً من ثلاث وهي : .

١ - **الخدمة الإحتياطية** : مدتها ست سنوات . يُدعى المكلف خلالها إلى الخدمة الفعلية عند الحاجة .

٢ - **الرديف** : مدتها عشر سنوات ، يُدعى المكلف إليها عند الحاجة القصوى وبعد دعوة الإحتياطي .

٣ - **المستحفظ** : مدتها خمس سنوات . يدعى رجالها إبان الحرب وعند الضرورات القصوى ويستخدم هؤلاء عادة في الخدمات البسيطة وذلك لكبر سنهم .

٤ - **الخدمة الفعلية** : وهي الأهم .. مدتها ثلاث سنوات تبتدىء في أيام السلم وعند بلوغ المكلف سن الـ ٢١ من عمره .

شروط الإعفاء من الجندية :

يُعفى من الجندية من شملته إحدى الصفات التالية :

١ ـ أن يدفع المطلوب البدل النقدي . وهذا أمر تعجيزي بالنسبة لوضع السكان المادي .

٢ ـ أن يكون المطلوب معيلاً . أي أن يكون وحيد أبويه مسؤولاً عن إعالتهما وهما بحالة العجز التام .

٣ ـ أن يكون المطلوب ابناً لأحد المتنفذين : وكان ذلك يجري بناء على أمر خطي صادر عن السلطان . مع العلم أن مثل هذا الأمر لا يصدر إلا بصعوبة وبعد وساطات وشفاعات .

٤ ـ أن يكون المطلوب من طلبة العلوم الدينية ، مع العلم أن الدولة التركية كانت تحشر هؤلاء الطلاب كل يوم في مراكز الفرق العسكرية للفحص والإمتحان فقد كثر عدد الطلبة المزيفين وأهملت الدروس وتخلف التدريس وأصبح هم الجميع أن يتخلصوا من الخدمة العسكرية الإلزامية .

وهكذا فقد كانت حصيلة هذا القانون أن خسرت البلاد مالها ورجالها ؛ فالأغنياء افتدوا أولادهم بالمال مما استخلصوه من أشداق الحكام ورجال الاقطاع والمتعهدين في حين أن الفقراء كانوا يساقون كالسوام إلى شقاء وموت محقق سيما إذا كان ترحيلهم إلى بلاد اليمن حيث لم تهدأ بها الثورات والفتن منذ إحتلها الأتراك .

فاشتد بلاء الناس وعمت الفوضى البلاد وعظم نفور الشعب من الدولة فتربصوا بها الغوائل على رغم أنه لم يبقَ في البلاد إلا العاجز الكسول أو مشوه الخلق .

ظهور حركات الفرار

قانون التجنيد الإجباري وشروط الإعفاء منه دفعا بالكثيرين من الشباب العاملي إلى الجنوح إلى الفرار من وجه العدالة ، فشهدت البلاد العاملية حالات تمزق واعتداء على الممتلكات عند كثير من المنعطفات وفي الأودية وكثر عدد قطاع الطرق في ذلك الحين وانزرع الخوف في نفوس المواطنين[١] .

وكانت الدولة العثمانية ـ الرجل المريض ـ في أواخر أيامها ضعيفة عاجزة عن ملاحقة هؤلاء كما أن الناس العزّل البسطاء المسالمين بطبعهم لم تكن لديهم الجرأة الكافية ليقفوا في وجه هذا التيار من اللصوصية ، لذا وقفوا حيال هذا الأمر مستسلمين عاجزين مكتوفي الأيدي مرغمين على قبول الواقع الذي يعيشون والسكوت عنه باعتبار أنه أهون الشرين .

فالبلاد يحكمها ظَلَمَةٌ جَهَلَةٌ وتسودها شريعة الغاب حتى الجنود الأتراك وموظفوهم لم يكونوا أحسن حالاً في ذلك الوقت من اللصوص وقطاع الطرق لأنهم كانوا يغتصبون المواسم باسم القانون جهاراً تحميهم الدولة فهي تتحرك فوراً لتقتص من المعترضين الذين تمردوا حسب زعم رجالها فسألوا ـ ولو همساً وبذلة ـ عن سبب فداحة المطلوب أو تشكوا لأنهم لا يستطيعون بما يملكون من تسديد الرسوم المفروضة عليهم .

ونتيجة هذا الوضع ظهرت في كثيرٍ من القرى العاملية فرق مسلحة

عملت على حماية السكان من شر اللصوص وقطاع الطرق من جهة ، ومن أجل الدفاع عن حدود القرية وممتلكاتها ضد غارات الرجال الأتراك الذين كانوا يصمون آذانهم عن سماع أية شكوى .

مع العلم أن دوافع بعض رجال هذه الفرق للسير في هذا السبيل كانت تكمن في تعشقهم للحرية وحبهم للحياة الكريمة ومن ثم عدم اقرارهم ورضوخهم لهذا الواقع الجديد المقيت المهين .

نماذج من هذه الفرق :

وعلى سبيل المثال فقط أراني ألقي الضوء على فرقتين من هذه الفرق قد لعبتا دوراً بارزاً في ذلك الوقت . . راجياً أن أجعل الصورة أكثر وضوحاً .

الفرقة الأولى : فرقة الشيخ علي الحجار في بلدة المطلّة .

« في مطلع القرن العشرين ظهرت في بلدة المطلة[1] حركة عصيان مسلح اخذت على نفسها محاربة الدولة العثمانية وحماية القرية من اعتداءات الفرار . فاستطاعت هذه الحركة ان تلحق بالعثمانيين خسائر فادحة .

وكان يترأس هذه الفرقة شيخ البلدة المدعو علي الحجار . وقد استمرت هذه الفرقة تمارس اعمالها فترة طويلة من الزمن حتى اضطرت الدولة العثمانية في نهاية الأمر أن تعفو عن رئيسها بعد وساطة بذلها نسيب بك جنبلاط .

ويبدو أن الدولة العثمانية ـ بعد العفو ـ وقد أصدرته ظلت تضمر للشيخ السوء وبقيت تفكر بالخلاص منه فعمدت إلى الحيلة وطلبت من قائمقام مرجعيون التركي رفعت بك بابان أن يستدعيه لأمرٍ ما .

---

(١) المطلة : بلدة كانت لبنانية وهي من قرى عامل تطل على سهل مرجعيون ـ الخيام . وهي تقع على الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية . اشتراها روتشيلد اليهودي من مالكها اللبناني جبور رزق الله من صيدا . ملحق رقم ٦ .

وفي طريق العودة ضاع الشيخ وعادت فرسه إلى المطلة ومن ثم عُثر عليه في اليوم التالي مقتولاً قرب نبع الحمام في سهل مرجعيون »[1] .

الفرقة الثانية : فرقة ابراهيم فرنسيس ـ القليعة[2] .

« في سنة ١٩٢٠ اجتاحت لبنان الجنوبي موجة اضطرابات واعتداءات دفعت بشباب كل قرية إلى توحيد صفوفهم وإنشاء فرقة مسلحة تعمل على رد كل اعتداء قد يتعرضون له .

وإزاء هذا الواقع تألفت في بلدة القليعة قرب مرجعيون فرقة بقيادة المدعو ابراهيم فرنسيس . وفي العشرين من شهر حزيران من ذلك العام هاجمت فرق تتألف من عرب الفضل في الجولان وعرب الغوارنة في الحولة وأهالي العرقوب وأهالي بعض قرى جبل عامل .

هذه الفرق مجتمعة هاجمت مرجعيون حيث كانت مقراً للحامية الفرنسية فنهبوا البيوت وأحرقوها . وفي طريق العودة اجتاحوا بلدة القليعة . فهب شبابها للدفاع عنها ببسالة . . وردوا المهاجمين على أعقابهم .

وقد عرف أهالي القليعة بتعشقهم للبطولة وأنهم اتخذوا من الخضر شفيعاً لهم »[3] .

وينسب الاستاذ سليم الراسي هذه الرواية إلى صديقه الشيخ سعيد فرنسيس ومن ثم يقول : إن صديقه هذا أطلعه على مخطوطة أرخ بها تلك الأحداث وقد جاء فيها : « كان الجنرال غورو القوميسيار العالي للجمهورية الفرنسية في سوريا وكيليكية والقائد العام لجيش الشرق يبلغ تهانيه لأبطال القليعة على ما أبدوه من شجاعة وبسالة في وَقْعَتَيْ ١٣ مارس و١٥ حزيران عام ١٩٢٠ . فإن جميع المتاولة قد تكبدت على أبواب القليعة خسائر دامية

---

(١) سلام الراسي : المؤلفات الكاملة . مؤسسة نوفل طبعة ثانية ١٩٧٧ ، ص ٥٨ .
(٢) القليعة : الملحق رقم ٦ ، قرية مسيحية تقع قرب مرجعيون .
(٣) سلام الراسي : المؤلفات الكاملة . مؤسسة نوفل طبعة ثانية ١٩٧٧ ، ص ١٦٠ .

ونوائب فادحة بفضل الشجاعة التي أظهرتها أبطال القليعة وزعيمهم ابراهيم فرنسيس »[1] .

هذا وقد شهدت قرى عاملة في تلك الفترة ظهور العديد من هذه الفرق وكان الدافع الرئيسي لظهورها اعتداءات رجال الفرار المتكررة على السكان الآمنين ومن ثم ترويعهم لهم وسلبهم أرزاقهم وما ملكت أيمانهم ومن ثم ضخامة المبالغ التي كان يفرضها الفرار على سكان القرى باسم غرامات هكذا صورتهم عين البغضاء .

هذه النظرة المتجنية أبداً هي التي طبعت في أذهان عامة الناس عن قصد بغية تشويه الدور البطولي والنضالي التحرري الذي من أجله خرج رجال الفرار ومن ثم كتبوا وإنْ بأمية تاريخ شعب أصيل رفض الخنوع والذل كما أنهم أصروا على أن يعيشوا أحراراً أبداً ومستقلين لا يتقوقعون ضمن دائرة ضيقة من الضغينة ، والحقد والكراهية .

كما أنه علينا ألا ننسى أثر التقلبات السياسية التي كانت تلف هذه المنطقة وترسم الخطوط العريضة لتسيير الأمور الحياتية بهذا البلد .

كل هذه الأسباب كانت حوافز قوية دفعت شباب بعض القرى إلى رفض ذلك الواقع المظلم المقيت فتنادوا لإنشاء فرق مسلحة ترفض التعايش مع هذا الواقع الذي أُريد لهم ومن ثم تصد هجمات المعتدين وتحمي أرواح الأبرياء وأملاكهم .

وإن كنت قد اكتفيت الآن بذكر اثنتين من هذه الفرق فحسبي أنها كانت ذات أهداف وذات أصول وفروع متشابهة وقد صدرت عنها أعمال موجهة متقاربة .

مع العلم أنه ستكون لي فيما بعد ومع كل الفرق المسلحة وقفة تأمل ودراسة .

---

(١) سلام الراسي : المؤلفات الكاملة . مؤسسة نوفل طبعة ثانية ١٩٧٧ ، ص ١٥٠ - ١٦١ .

حياة الفرار وأسلحتهم

لم يجرؤ رجال الفرار على دخول القرى خشية مداهمتهم أو الوشاية بهم لذلك اتخذوا لهم من المغاور والكهوف ملاجىء يأوون إليها في النهار وأثناء الليل . وكانوا لا يدخلوا القرى الآهلة إلا لماماً . وقد اتسمت أعمالهم بالسلب والنهب والإعتداء على قوافل التجار و« المكارية » .

وكان يجري مثل ذلك من وقت لآخر بدافع تأمين بدلات الضرائب التي كانت تفرضها الدولة أو رجال الاقطاع أو أصحاب الشأن على أهل رجال الفرار مقابل السكوت عنهم . ومن ثم عدم مطاردة أبنائهم أو الوشاية بهم .

أما أسلحة هؤلاء الفرار فقد كانوا يحصلون عليها بفعل اعتداءاتهم المتكررة على جنود الدولة أو الفارين منهم وقد انهكهم الجوع والمرض فأعوزتهم الحاجة إلى بيع سلاحهم للتخلص منه .

وكثيراً ما أحتمى بعضهم عند أولئك الفرار وقد آنسوا منهم القوة والسيطرة فانضموا إليهم وشكلوا معهم عصابة تعيث في البلاد فساداً .

هكذا تكونت الفرق المسلحة في جبل عامل بادىء ذي بدء . وقد اتسم هذا العمل بطابع مختلف ولكن غلب عليه عمل العصابات المسلحة بعد دخول القوات التركية إلى سوريا ولبنان وفلسطين في مطلع هذا القرن وبعد أن انخرط في صفوف هذه الفرق عدد كبير من الجنود الذين فروا من

الجيش التركي ـ كما قدمت ـ خلال الحرب الكونيّة الأولى .

وكانت غالبية هؤلاء الجنود من أبناء جبل عامل حيث كانت عودة هؤلاء الجنود إلى قراهم مستحيلة بسبب ملاحقة الجيش التركي لهم . فقد كان القتل رمياً بالرصص هو العقاب الوحيد لأمثالهم . وقد نهبوا وسرقوا لتأمين قوتهم وقوت عيالهم وكان عليهم فوق ذلك أن يدفعوا مبالغ كبيرة للإقطاعيين المحليين مقابل حماية هؤلاء لهم ولذويهم القابعين في بيوتهم مستسلمين لكل ظروفهم الحياتية الصعبة .

الفصل الثالث

« الصراع الدولي حول اقتسام أملاك السلطنة العثمانية »

١ ـ تمهيد
٢ ـ تصور الحصص
٣ ـ العمل على تحقيق المطالب
٤ ـ تعارض الحصص
٥ ـ ملاحظة
٦ ـ إتفاق فرنسا ـ بريطانيا .

تمهيد

ينتشر الوطن العربي فوق مساحة واسعة كانت في مطلع هذا القرن تخضع بشكل مباشر وغير مباشر لنفوذ الأمبراطورية العثمانية التي كانت قد أصيبت حينئذٍ بالوهن والضعف وأصبح أمر زوالها مؤكداً ومنتظراً في كل لحظة .

لذا تطلعت إلى تلك التركة الضخمة الهامة أعين الدول الأوروبية . . وبدا ذلك واضحاً عبر تعابير وتحركات أشارت كلها إلى رغبة كل دولة منها في الحصول على الحصة التي تريد .

تصور الحصص :

الدول التي كانت تعد كبرى في ذلك الوقت هي :

روسيا ، فرنسا ، بريطانيا ، إيطاليا ، ألمانيا ، فالهند .

ويمكن تلخيص رغبة كل دولة في الحصول على الحصة التالية :

١ ـ روسيا : كانت تريد أن تستولي على القسطنطينية والبوسفور والدردنيل لتتخذ منها منفذاً على البحر الأبيض المتوسط والمعروف باسم « المياه الدافئة » الذي كان مغلقاً في وجهها .

٢ ـ فرنسا : طالبت بالإستيلاء على سوريا وزعمت أن لها إهتماماً خاصاً

بمصالح لبنان (جبل لبنان) .

٣ ـ **بـريطانيـا** : أعلنت عن حاجتهـا إلى طريق بـرية تصلهـا ببلاد الشرق (الهند) وعملَتْ في سبيل ذلك إلى عقد اتفاقات سرية مع الشيوخ العرب في شبـه الجزيـرة العربيـة فرضت بمـوجبها حمايتها على عدد من مشيخات تقوم عـلى الشواطىء وقـد توصلت إلى تلك المكاسب عن طريق بذر الخلافات الحادة بين السكان فاضطرت تركيا إلى الإعـتراف بحمايـة انكلترا لتسع اماراتٍ صغيرة في دواخل عدن .

٤ ـ **إيطاليا** : كانت لها أطماع في آسية الصغرى أهمها السيـطرة على منـاطق عسير واليمن وذلك لتجعل منها قاعدة لها على شواطىء البحر الأحمر الشرقية .

مع العلم أن إيطاليا كانت من قبل قد احتلت ليبيا .

٥ ـ **ألمـانيا** : كـانت تبحث عن أسواقٍ لهـا داخل الـوطن العربي لتستـطيـع بواسطتها منافسة فرنسا وبريطانيا اقتصادياً .

٦ ـ **الهند** : كانت تصوب نظرتها جهة العراق . .

وإزاء هذه الرغبات فتحت هذه الدوَل بينها باب المفاوضت وتوزعتها معاهدات سرية عقدت خلال السنوات ١٩١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ .

فقسمت بموجبها أراضي الأمبراطورية العثمانية إلى شرائح .

العمل على تحقيق المطالب والدور الألماني : .

نشبت بين هذه الدول المتزاحمة ذات الأطماع حرب باردة كان سلاحها قبل اندلاع الثورة العربية واشتراك العرب في الحرب ضد تركيا .

وكانت تعتمد على دعاية تقضي بالمفهوم التالي :

التـوحيد ولـو إعلاميـاً بين قضيتي الخلفـاء والاستقلال العـربي .

ردت المانيا على تلك الدعاية بإنشاء مكتب عربي بدمشق واختارت له موظفين من الخبراء الألمان المختصين في الشؤون العربية ورصدت لهذا المكتب ميزانية ضخمة أنفقتها على عمل الدعاية ونشرها . بل إنها عمدت إلى فرض عقوبات على الفرار من الجيش التركي ـ فهي حليفة تركيا ـ وحذرت الناس بأن السلطات الحاكمة ستفرض عقوبات صارمة على كل شخص تجد بحوزته منشوراً مما تلقيه الطائرات البريطانية .

تعارض المطالب .

لم يطل أمر هذا الصراع وإن بدأ حاداً . . ففي روسيا قامت سلطة ثورية عام ١٩١٧ فانكفأت تلك السلطة تعالج أوضاعها الداخلية ومن ثم تقرر مصير المعارك العسكرية، ووضح انتصار الحلفاء وأمحت مطالب الدول المهزومة في الحرب ، في حين أنه استمر صراع النفوذ على أشده بين كل من فرنسا وبريطانيا . وكان مسرح ذلك الصراع أرض الوطن العربي .

وقد استعملت في هذا الصرع أسلحة تصاريح وبيانات تعتمد أسلوب اللف والمراوغة وتبديل مظاهر ذلك عن طريق إرتداء الأقنعة فراجت إشاعات وأقاويل وأُلفت وروجت حكايا وضُخمت أخبار فأصاب الناس ضياع وذهول وأصبحوا يصدقون كل ما يُقال ويتصرفون بعاطفة ومن دون عقل .

وعلى رغم اختلاف النوايا وتباين الأهداف والأطماع فقد أصدر الساسة البريطانيون وزملاؤهم الفرنسيين في مطلع تشرين الثاني من عام ١٩١٨ تصريحاً مشتركاً يقول :

« إن الغاية التي من أجلها خاضت فرنسا وانكلترا الحرب في الشرق ، تلك الحرب التي أثارتها مطامع المانيا ـ هي تحرير الشعوب التي رزحت طويلاً تحت مظالم الأتراك تحريراً تاماً نهائياً

وإقامة حكومات وإدارات قومية تستمد سلطتها من اختيار الأهلية لها

اختياراً حراً ولتحقيق هذه الغايات في كل من سوريا والعراق البلدين اللذين حررهما الحلفاء وفي المناطق التي لا يزال الحلفاء يجاهدون لتحريرها على أن تعترفا بهذه الحكومات عندما يتم تأسيسها فعلاً . وليس من غرض فرنسا وانكلترا أن تفرضا على الأهلين في هذه المناطق نوعاً معيناً من الحكم إنما همهما أن تتحقق بمعونتها و بمساعدتها المناسبة . وأن تضمنا عدلاً منزهاً يساوي بين الجميع ويسهل عليهم تنمية الإقتصاد في البلاد باحياء مذاهب المواطنين وتشجيعهم على نشر العلم ووضع حد للمنازعات التي طالما انتفعت بها السياسة التركية »[1] .

بعد هذا البيان المشترك اشتد التزاحم الفرنسي - البريطاني في هذه المنطقة .

فالحرب العالمية الأول كانت قد وضعت أوزارها وغرقت هذه المنطقة بتصاريح أصدرها رجال بريطانيون أو فرنسيون كانوا قد مثلوا أدوار هامة في تاريخ هذه المنطقة .

فقد قال سايكس . . وهو أحد الموقّعْين على الإتفاقية الشهيرة عام ١٩١٦ « أن عام ما قبل الحرب قد مات ولكن عام ما بعد الحرب لم يولد بعد »[1] .

ثم جاء تصريح اللورد كيرزون الذي قال : « لو أنه يتعين علينا عقد اتفاقيات ١٩١٦ من جديد لما وقعناها »[1] .

ثم اقترنت تلك الأقوال البريطانية بقرارات تلزم بالتنفيذ وكانت الغاية

---

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، دار النهار للنشر ، بيروت طبعة ثانية ص ١٢٩ .

(٢) مسعود ضاهر : تاريخ لبنان الاجتماعي ، دار الفارابي ، بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ ص ٢٩ .

(١) مسعود ضاهر : تاريخ لبنان الاجتماعي ، دار الفارابي ، بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ ص ٢٩ .

منها إلحاق ما أمكن من الخسائر بدولة فرنسا « فقد صدرت قرارات مالية عن القائد العام للقوات الحليفة في المنطقة الجنرال اللينبي تحصر امتياز النقد الرسمي المتداول بالنقود الذهبية لمختلف الدول مع استبعاد الفرنك الفرنسي الورقي من التداول . كما أنها أجبرت فرنسا على ابدال عملة جنودها بالذات بالعملات المعترف بها .

ثم حددت بقرارات لاحقة الضرائب والإلتزامات ورواتب الموظفين بالنقد المصري . فبلغت خسارة فرنسا من جراء ذلك لعام ١٩١٩ وحده حوالي ١٢٨ مليوناً من الفرنكات »[١] .

في مثل هذه القرارات تتوضح صور الخلافات بين الدولتين .

ثم توالت بعد ذلك حملات مسعورة متبادلة ظهرت جلية على صفحات الصحف أو عبر بيانات رسمية . وقد اشترك كليمنصو نفسه في هذه الحملات الإتهامية حيث راح يشكو البريطانيين إلى السيد « ستيد » على موقفهم العدائي في سورية فقال له : « إن جل ما نريده الآن أن يتفق البريطانيون معنا وأن يبعثوا بتعليمات إلى موظفيهم المحليين ليكفوا عن إثارة الناس ضدنا »[١] .

وكذلك شكا كليمنصو من التباطؤ الذي يمارسه البريطانيون في إجلاء جيوشهم عن سوريا لتحل مكانها جيوش فرنسية . كما أنه شكا أن اللورد « ميلز » الذي كان قد وعد أن يساعد فرنسا في تقريب وجهات النظر بينها وبين الأمير فيصل ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا .

وظهرت في الصحف الفرنسية حملة مسعورة ضد بريطانيا تتهمها بالقيام بدعاية معادية لفرنسا في سوريا . ومن أجل ذلك فقد بعث الوزير البريطاني المفوض في باريس السيد ج . غراهام بتقرير إلى اللورد كيرزون لخص له فيه محتوى مقالين يعتبران مثالاً على الإتهامات الفرنسية .

---

(١) مسعود ضاهر : عن (محمد سعيد حمادة : النظام النقدي المصرفي في سوريا) ص ٥٣ .

فقد نشر في تموز عام ١٩١٩ مقال للكاتب السياسي المعروف روبير دي كاي هاجم فيه الدعاية البريطانية الموجهة ضد فرنسا في الشرق وبلهجة عنيفة . ويزعم دي كاي : « أن الغاية التي تستهدفها هذه الدعاية هي القضاء على النفوذ الفرنسي في سورية وتحقيقاً لهذه الغاية فهم يشجعون على قيام الوحدة العربية في سورية »[1] .

ثم أوردت جريدة الوقت ما جاء في مقال دي كاي وأضافت : « إن من مصالح البلدين المتحالفين تحالفاً وثيقاً كفرنسا وبريطانيا أن يخلصا الود وأن يتصارحا »[2] .

ثم ورد في مذكرة بلفور التي وضعها وهو بَعْدُ في باريس حول سوريا وفلسطين والعراق ما يلي :

« إن الأثر الذي تحدثه المشكلة السورية في العلاقات البريطانية الفرنسية أمرٍ يحملني على القلق الشديد : قلق لا يخفف من إزعاجه إن ما قيل عن المشكلة قليل وإن ما يلمح إليه كثير . وهذه الحقيقة المؤلمة تزيد من مخاوفي . أعني أن فرنسا وأنكلترا وأميركا تجد نفسها في وضع مضطرب معقد بسبب الورطة السورية بحيث لا أرى أحداً في هذه الدول سيخرج منها بحل مرضٍ رتيب »[3] .

هذا الصراع الكلامي العلني كان له وقع كبير في نفوس المواطنين فتفرقوا حوله أحزاباً وشيعاً وإن كانت الغاية منه بالنسبة للدولتين تتمثل بقول انكلترا لفرنسا : « اطلقي يدي في الموصل فأطلق يدك في سوريا »[4] .

بعد هذا تبلورت القضية اللبنانية التي تفاعلت بين عامي

---

(١) مسعود ضاهر : تاريخ لبنان الإجتماعي ص ٣٠ .
(٢) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط ص ١٢٥ .
(٣) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط ص ١٢٧ .
(٤) مسعود ضاهر : تاريخ لبنان الإجتماعي . ص ٣٠ .

١٩١٨ و١٩٢٠ . وتوصحت عبر فكرتين رئيسيتين :

الأولى : استقلال لبنان وانفصاله عن سوريا .

الثانية : استقلال لبنان وإتحاده مع سوريا في الأمور الخارجية والاقتصادية .

وقد تحددت سياسة فرنسا بين فريقي التطرف :

« فهي ضد دعاة الاستقلال التام والانفصال عن سوريا ، وهي ضد دعاة الوحدة الشاملة والإندماج في سوريا »[1] .

وانتهت هذه الحرب الإعلامية بوفاق بين الدولتين المتنافستين .

فما هي أسباب هذا الإتفاق . . .

ملاحظة :

بعد قراءة هذه النصوص التي تعبر بوضوح عن صراع علني قائم بين الدولتين . . وبعد تلاحق الأحداث السياسية التي شهدها لبنان بوجه عام ومنطقة عاملة بوجهٍ خاص يدرك الباحث أن تلك البيانات كانت محض كذب وتلفيق وإن الغاية منها كانت توضع ثم تطلق لامتصاص نقمة كانت تتفاعل في نفوس العامليين خاصة واللبنانيين عامة . ويستطيع القارىء وبسهولة أن يتعرف على أساليب الخِدَاع والتمويه التي كانت تلجأ إليها الدولتان معاً .

يؤكد ذلك أن كلاً من الدولتين لم تكن راضية عن نصيبها الذي أدركته بعد تنفيذ معاهدة سايكس ـ بيكو عام ١٩١٦ .

وتعبيراً عن ذلك نجد أن بريطانيا ساندت كل محاولات العنف التي

---

(١) مسعود ضاهر : تاريخ لبنان الإجتماعي . ص ٢٧٢ .

ظهرت تناوىء فرنسا حليفة الأمس . . فهي - أي بريطانيا - تمد الثوّار بالعتاد وتقدم لهم الحماية سيما في مناطق أقصى الجنوب .

وسيجد الباحث أن فرنسا تنمرت بعد أن أُقر لها حق الإنتداب ورضيت بريطانيا .

وسيجد القارىء أن للبنانيين على مختلف طبقاتهم وفئاتهم مواقف متباينة إزاء هذه الأحداث المتلاحقة المتسارعة . سيما سكان تلك المناطق التي كانت مسرحاً لتلك الأحداث .

الإتفاقات السرية :

تعود أسباب اتفاق فرنسا وبريطانيا إلى عاملين هما :

١ - **الخطر الأميركي** : وقد نتج عنه :

أ - هبوط سعر الاسترليني بنسبة ١ /٥ بالنسبة للدولار .

ب - بروز ثراء أميركا بحيث اضطرت الدولتان : الفرنسية والبريطانية إلى الاستدانة منها .

ج - عدم اشتراك أميركا في التحالفات الأوروبية جعل العرب يطمئنون إليها سيما بعد اعلان مبادىء الرئيس ويلسون (شرعة حقوق الإنسان) .

د - في الداخل عمل أصدقاء أميركا للدعوة للإنتداب الإميركي (جمعية سوريا الوطنية الجديدة) وقد أعلن رئيسها متري الرحباني كتاباً بعنوان : يا أميركا خلصي الشرق الأدنى .

٢ - **خطر المد الوطني** : وقد بدت خطواته ثابتة وحثيثة .

هذه الأسباب دفعت الدولتين المتخاصمتين فعلاً . . والمتحالفتين ظاهرياً إلى عقد صلح يقضي بوقف الحرب الباردة المشتعلة والتي كان من نتائجها أن ربطت مصير الحركة الوطنية اللبنانية بمصير الحركة الوطنية السورية طيلة الفترة اللاحقة من الانتداب إلى الإستقلال .

وهذا ساعد كثيراً على كسر الطوق الطائفي الذي فرضه الانتداب على تطور الحياة السياسية بوجه عام وبشكلٍ خاص طيلة فترة الانتداب الأولى .

الفصل الرابع

العامليون :

١ ـ قبيل الحرب العالمية الأولى
٢ ـ إبان الحرب العالمية الأولى وبعدها
٣ ـ الإنتداب الفرنسي على لبنان :
تصوره ـ إخراجه ـ تطبيقه .. موقف اللبنانيين منه .. توكيده
٤ ـ استنتاج وتقدير .

أولاً : العامليون قبيل الحرب

ازداد وضع العامليين قبيل نشوب الحرب الكونية الأولى شقاء وتعاسة تبعاً لإختلاف زعمائه في تلك الأوقات العصبية . إذ كانت الحكومة التركية تبث روح العداء بين أهله ووجهائه وزعمائه ذلك لأنها كانت قد أخذت على عاتقها وأد كل الحركات الإستقلالية وتتريك جميع الذين يلهجون بلغة عربية .

فلمثل هذا عمل مؤتمر الإتحاديين السري عام ١٩١١ عبر القانون الذي سنه لهذه الغاية . ولكن النتائج التي أسفر عنها برنامج التتريك هذا كان حافزاً قوياً لزعماء العرب للتشدد على القومية في مطالبتهم بالاستقلال التام للبلاد العربية كلها وعاملاً قوياً على توحيد قواهم « إذ كنت تسمع الناس في كل مجتمع : مسيحياً كان أو إسلامياً يوجهون النقد اللاذع للمعاملات الرسمية الحكومية ولكن قلّ أن تسمع نقداً بناءً فإن الحكومة في نظر الناس قوة مستقلة لا تربطها بالمحكوم أية رابطة »[1] وقد أقر الأتراك أيضاً قتل كل حركة عنصرية وذلك بإتخاذ الشدة مع غلاة الوطنيين واغتيال من يخشون جانبه . ولكن تدابيرهم هذه بقيت ظيّ الخفاء لأنها بطبيعتها سلبية . . وكانوا يسيرون بها على مراحل وأصبحت القوانين التي تصدرها الدولة التركية حبراً على ورق يفسرها عمالها كما يشاؤون فانتشرت أعمال السلب والرشوة ودفع كبار الموظفين صغارهم دفعاً لإيذاء الأهلين وسلبهم

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، طبعة ثانية ص ٦٩ .

وأصبح الشعب في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني يئن من وقع هذه الأعمال وغدت الآستانة في عهده « الذاهب إليها مفقود والراجع منها مولود »[1] وكان الأتراك قبل ذلك قد عمدوا إلى إقصاء الزعماء وذوي الاقطاعات من رؤساء العشائر عن الحكم ومنعوا سيطرتهم على الشعب في حين أنهم عينوا في تلك المراكز زعماء جدد ومن أسر الدرجة الثانية ممن كانوا يتطلعون إلى مثل هذه المراكز ، فأصبح هؤلاء الزعماء الجدد لا يردون للولاة العثمانيين طلباً مهما عظم .

وهكذا تسنى لهؤلاء الولاة حكم البلاد على هواهم بعد أن تمكنوا من إغراء كل فئة من فئات الشعب العاملي بأبناء الفئة الأخرى . . .

. . ولم يكتفِ العثمانيون بهذا القدر من الظلم والتعسف والتجني بل أنهم ضربوا اقتصاديات البلاد ضربات أليمة فقضوا على زراعة التبغ ـ كما قدمت ـ بالحصر ، وبالغوا بزيادة نسب الضرائب التي فرضتها الدولة على المحصولات الزراعية عبر قانونِ المساحة والتمليك . فأهمل المواطنون أرضهم وغدت بوراً .

وفوق هذا كان على العامليين أن يشهدوا أحداث حربٍ قاسية . . .

فكيف قضوا سنوات تلك الحرب ؟؟ .

ثانياً : العامليون إبان الحرب .

مع اشتعال نيران الحرب اشتد نفور الشعب العربي من الدولة التركية وتربصوا بها الغوائل . . .

كيف لا يكون ذلك وقد خسرت البلاد رجالها وأموالها ولم يبقَ فيها إلا العاجز الكسول أو مشوه الخلق . . فقد أُجبر الفقراء على السفر إلى خارج

---

(١) سلام الراسي : لئلا نضيع ، مؤسسة نوفل بيروت جزء ١ لم تذكر الطبعة ، ص ٥٠ .

البلاد (إلى اليمن) حيث لم تهدأ ثوراتها منذ احتلها الأتراك . . فزاد ذلك في إضعاف الحالة الاقتصادية العامة وأصيبت الزراعة والصناعة اليدوية بشلل تام فاشتد البلاء وعمت الفوضى .

في خضم هذه الأوضاع المضطربة المتردية أدرك العاملون في السياسة أن أمر الدولة العثمانية سيؤول للخراب سريعاً سيما وأنها دخلت غمار حرب ضروس واغتنم بعض الساسة العاملين هذا الشعور وأوفدوا يوم ١٨ تشرين أول عام ١٩١٤ إلى جبل عامل (صيدا ـ صورا ـ النبطية) رسولاً عنهم هو الشهيد عبد الكريم قاسم الخليل ـ وكان يومئذٍ رئيس المنتدى العربي في الآستانة ـ ليعمل على تأسيس فروع للجمعية (جمعية الثورة العربية) وقد تم فتح فرع في النبطية بتاريخ ٢٦ /تشرين أول ١٩١٤ .

والجدير بالذكر أن هذه الرحلة حددت مصير المناضل عبد الكريم قاسم الخليل فقد تم إعتقاله ومن ثم نُفذ به حكم الإعدام .

يؤكد هذا الواقع المتدهور بشكل تصاعدي ما ذكره شهود عيان من مراسلين أجانب .

فقد جاء في مذكرة القنصل العام الأميركي التي بعث بها إلى حكومة بلاده بتاريخ ١٥ تموز / ١٩١٦ ما نصه : « حال الفقراء في هذا البلد (أي لبنان) تستثير الحزن والرثاء فالشوارع مكتظة بأطفال ونساء ساغبين . . والحكومة متبلدة الإحساس نحو آلام هؤلاء المساكين . ثم هي لا تسمح للصليب الأحمر الأميركي بمد يد العون إليهم وكثيراً ما شاهدت أثناء تجوالي في الأصائل جثث الموتى على قوارع الطرق »[1] .

وجاء في تقرير نشرته صحيفة التايم Temps (الوقت) في الثاني عشر

---

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، طبعة ثالثة ١٩٦٩ . ترجمة الدكتورين : ناصر الدين أسد وإحسان عباس . ص ٣٠ .

من شهر آب ١٩١٦ وبقلم مراسل محايد غادر سوريا قبل هذا التاريخ بقليل ما نصه :

« إن حال أهالي سورية مما لا يكاد يصدق (ويعني البلاد السورية) . . هناك يتعرض المسلمون الناطقون بالعربية لإرهابٍ جديد . ويقدر عدد الذين قضت عليهم المجاعة في شمالي سورية بين الستين ألفاً والثمانين »(١) .

وكتبت سيدة أميركية عاشت في بيروت وغادرت البلاد في صيف ١٩١٦ رسالة نُشرت على صفحاتِ جريدة التايمز يوم الخامس عشر من شهر أيلول من نفس العام قالت :

« بدأت حالات الجوع تظهر قبيل حلول الربيع إذ وُجِدَ الناس مطروحين في الشوارع ، وقد زايلهم الوعي وحملوا إلى المستشفيات . ولقد مررنا بنساء وأطفال ارتموا على جوانب الطرق وعيونهم مغمضة ووجوههم شاحبة ترهقها صفرةِ الموت . وكم وجدنا أُناساً يفتشون في أكوام القمامة عن قشور البرتقال والعظام البالية وغيرها من فضلات ويأكلونها في نهمٍ إن وجدوها .

وفي كل مكان كانت النساء يُشاهدن وهن يبحثن عن الأعشاب الصالحة للأكل بين الحشائش النامية على مدى الطرقات »(٢) .

فإذا كانت حياة المدن حيث تتعدد مصادر الانتاج قد تردت إلى مثل هذا الحدِ فكيف يمكن أن تكون حالة المواطنين في القرى ؟ . . فلو واجهنا

---

(١) المرجع نفسه أي (جورج أنطونيوس) ص ٣٠ .
(٢) جورج أنطونيوس : يقظة العرب عن ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

صورة هذا الواقع المرير مع حقيقة أن بلادنا كانت تنتج في الأحوال العادية كميات وفيرة من المؤن الزراعية الغذائية الأساسية . . مع العلم أن تلك الغلال كانت تزيد كثيراً عن حاجات المواطنين الإستهلاكية إلا أن أعمال المصادرة والملاحقة المستمرة التي كان يقوم بها الولاة العثمانيون وأعوانهم جعلت وجود مثل تلك الحاصلات نادراً بل مستحيلاً . . .

إذا عرفنا ذلك وضحت أمامنا صورة الواقع الذي عاشه العامليون في تلك الحقبة الزمنية ومن ثم أدركنا فداحة الخطب الذي حل بالمواطنين في فترة الحرب الكونية الأولى .

في زحمة هذه الأحوال لم يجد المواطن معيناً له يخلصه من تلك الويلات سوى ما كانت تقدمه له منظمات الإسعاف الفرنسية والبريطانية والأميركية حيث ظهرت تلك المنظمات على المسرح الإجتماعي والإنساني وأخذت هذه المنظمات تتنافس فيما بينها تنافساً إنسانياً .

وبالطبع لم تنعدم المبادرات الفردية التي بذلت لتهيئة الضروريات على نطاق واسع وقد تم تقديمها إلى أفراد الشعب المعدمين وفي كل المناطق المحتاجة :

« وقد قامت الإرساليات الأميركية في جنوب لبنان بعملية إحصاء للأضرار المادية والخسارة في الأرواح التي وقعت في الأجزاء الجنوبية من لبنان فتبين لها أن ١٨٢ قرية بمساكنها البالغ عددها عشرة آلاف مسكن وبعدد سكانها البالغ ٧٧ ألفاً تهدم فيها ٢٥٠٠ مسكن أثناء السنوات الأربع من سني الحرب وهُلك ٣٣ ألف نسمة وأن الأربعة والأربعين ألفاً الباقين فيهم / ١٦٤٠٠ / فقير معدم و /٢٦٠٠ / يتيم .

وإن خسارة لبنان في الأرواح بلغت مئة ألف نسمة من أصل ٤٥٠ ألفاً »[1] .

(١) د . فيليب حتي : تاريخ لبنان ، دار الثقافة ، بيروت طبعة ثالثة ١٩٧٨ . ترجمة : أنيس فريحة ومراجعة نقولا زيادة ص ٥٩٢ .

وقد أورد الدكتور فيليب حتي وعلى الصفحة ٥٩٠ من كتّابه تاريخ لبنان الصادر عن دار الثقافة . . أورد حكاية امرأة لبنانية من قرية جنوبية فقال ما ملخصه :

● في قرية صغيرة من قرى الجنوب وضعت امرأة لبنانية المولد أميركية الجنسية طفلاً ذكراً وتوفيت أثر الولادة ولم يكن للطفل أهل أو أقارب يعتنون به فترك همــلاً . وبعد مدة وجد يقتات على النبات وجذور النبات ولما كبر هذا الولد عرف أنه يستطيع الحصول على الجنسية الأميركية ففعل وسافر . . وعندما أصبح رجلاً كتب قصة حياته ووصف معاناته يوم كان طفلاً شريداً . وصور الحالة التي عاشها أثناء محنته وضياعه في لبنان فقال :

« أما المعسرون فبعد أن فرغوا من بيع أشيائهم قصد قسم منهم الداخلية (أي المناطق الداإخية) لتحصيل الأقوات من مخالب الآفات . وقسم ظلوا في قراهم يستقبلون الموت تحت سقوف منازلهم وقسم هبط إلى الساحل فأصاب بيروت منهم نصيب كبير فانضموا إلى متسوليها وأصبحوا جيشاً كبيراً . وقد كانوا طبقتين :

الأولى : هم الذين كان لم يزل فيهم شيء من النشاط مكنهم من أن يطوفوا على أبواب المخازن والمنازل للاستعطاء وكانوا يبحثون في الدّمَن والمزابل لعلهم يعثرون على ما يشغلون به المعد (ج معدة) الفارغة من قشور الموز والبطاطا والليمون وألواح الصبير وغير ذلك وكان بعضهم يقصدون الجيف . . . . . . المنتنة منها .

أما القسم الثاني فهم الذين خارت قواهم من شدة ما عانوا من سوء المعيشة والجوع فانطرحوا على جوانب الشوارع يستنجدون بكلمات تفتت الأكباد . . بل بعضهم لم يبق فيهم

الضعف قوة لرفع أصواتهم فكانوا يستغيثون بعيونهم الذليلة وهم منطرحون في الطرقات على أن أشد منظر على النفس كان منظر الأطفال »[1] .

وإذا استمر الباحث في ملاحقة الأحداث عبر الكتب الموضوعة فإنه سيجد أن لبنان عانى من ويلات الحرب الكونية الأولى أكثر بكثير مما عانته سوريا . . بل أكثر مما عانته أية ولاية عثمانية أخرى . فقد حُرم لبنان مواسم الاصطياف وانقطعت عنه الامدادات إذ سدت طريق البحر . وعمل الأتراك على قتل وتجويع المواطن اللبناني فلم يعدوا له طعاماً أو يستقدموا من أجله علاجاً . . بل إنهم عمدوا إلى قطع أشجار أحراجه إذ حوّلوها وقوداً سيروا بطاقته عرباتهم التي كان تحركها وقفاً على المصالح العسكرية فقط .

ولم يكتفِ العثمانيون بذلك بل أنهم أغرقوا الأسواق بعملة ورقية لم يشهد لها اللبنانيون مثيلاً من قبل وكانت قيمتها متدنية كثيراً فألزمت المواطنين على التعامل بها .

ثم كان عام المجاعة في شتاء ١٩١٥ . . ومن ثم هجم الجراد الذي قضى على كل أخضر أو يابس ولم يبقِ شيئاً .

هذه الصورة تواتر ذكرها في كتب المؤرخين وهي توضح حالة اللبنانيية أثناء الحرب الأولى من الناحيتين الإقتصادية والسياسية وهم في تلك الحالة النفسية أطلّ عليهم شبح الإنتداب وقد ألبسه واضعوه حلة قشيبة مزركشة فما هي حقيقة هذا الانتداب ؟؟ .

---

(١) د . فيليب حتي ؛ تاريخ لبنان ، دار الثقافة ، بيروت طبعة ثالثة ١٩٧٨ . ترجمة : أنيس فريحة ومراجعة نقولا زيادة ص ٥٩٠ ـ ٥٩١ .

ثالثاً : الإنتداب

تمهيد :

كانت سنة ١٩١٨ سنة انتصارات الحلفاء في منطقة الشرق الأوسط والتي انتهت بالقضاء على الأمبراطورية العثمانية .

ولكن هذه الإنتصارات كانت بداية فوضى سياسية بين المتحالفين تناولت العلاقات الدبلوماسية المتداخلة بين بريطانيا وبين العرب من جهة ، وبين الحلفاء أنفسهم من جهة ثانية وقد أدت هذه الفوضى إلى بعث الشك والريبة في العلاقات بين العرب ودول الغرب مدة طويلة من الزمن .

وعلى رغم اختلاف النوايا وتباين الأهداف والأطماع فقد أصدر الساسة البريطانيون وزملاؤهم الفرنسيون في مطلع تشرين الثاني من عام ١٩١٨ تصريحاً مشتركاً يقول : .

« إن الغاية التي من أجلها خاضت فرنسا وانكلترا الحرب في الشرق ـ تلك الحرب التي أثارتها مطامع المانيا هي تحرير الشعوب التي رزحت طويلاً تحت مظالم الأتراك تحريراً تاماً نهائياً وإقامة حكومات وإدارات قومية تستمد سلطتها من اختيار الأهلين لها اختياراً حراً ولتحقيق هذه الغايات في كل من سوريا والعراق البلدين اللذين حررهما الحلفاء وفي المناطق التي لا يزال الحلفاء يجاهدون لتحريرها . وعلى أن تعترفا بهذه الحكومات عندما يتم تأسيسها فعلاً وليس من غرض لهما

(فرنسا وانكلترا) أن تفرضا على الأهلين في هذه المناطق نوعاً معيناً من الحكم . إنما همهما أن تتحقق بمعونتهما وبمساعدتهما المناسبة . . . وأن تضمنا عدلاً منزهاً يساوي بين الجميع ويسهل عليهم تنمية الإقتصاد في البلاد بإحياء مواهب الوطنيين وتشجيعهم على نشر العلم ووضع حد للمنازعات التي طالما انتفعت بها السياسة التركية »[1] .

وتتابعت بعد هذا التصريح الخطوات . . فدخل الجيش البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي شرقي الأردن وكانت تساعده القوات العربية بإمرة فيصل بن الحسين ملك الحجاز ، وبعدها أنزل الأسطول الفرنسي فرقة من جنوده على ساحل بيروت ثم دخل الجيش العربي دمشق وإزاء هذا الواقع العسكري تلاحقت المعاهدات التي وقعت عليها مكرهة . فكانت معاهدة مودروس ثم كان مؤتمر سان ريمو (نيسان ١٩٢٠) الذي كان مدخلاً فعلياً لفرض الإنتداب الفعلي على كل من لبنان وسوريا وفلسطين والعراق . وبعدها كانت معاهدة سيفر حيث تنازلت تركيا نهائياً عن هذه المقاطعات من السلطنة .

وتسارعت المواقف حتى تم التوقيع على صك الإنتداب تحت رعاية عصبة الأمم عام ١٩٢٢ .

تصور الإنتداب ثم إخراجه :

لم يُشارك العرب في الحرب بغية استبدال استعمار تركي بآخر أوروبي . وإنما تمت مشاركتهم بعد أن شاركوا في مفاوضات متكررة أصر مندوبوهم إليها إصرار موكليهم على نيل الإستقلال فهو الغاية الوحيدة التي جندوا في سبيلها كل قواهم وقد أوضح هؤلاء المندوبون للمجتمعين إن كل الخلافات التي تشاهد طافية على وجه الأحداث العربية إنما هي خلافات في الرأي ليس

---

(١) مسعود ضاهر : تاريخ لبنان الاجتماعي ، دار الفارابي ، بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ صفحات ٢٦٢ ـ ٢٦٤ .

إلا . . . وإنها كلها بغيتها الوصول إلى الهدف الواحد . . ألا انه الاستقلال . وإن حمل التعبير عن ذلك الرأي الموحد تشعب آراء وإلتواءات طرق .

ومن أجل إقرار هذا المفهوم الواضح عمد رجال السياسة الأجانب إلى استبدال كلمة استعمار ـ وكان قد سئمها العرب ومجتها أسماعهم ـ بكلمة انتداب فهي حديثة النشأة غير واضحة الدلالة بعد . . على الأقل بالنسبة لسائر المواطنين العرب . . مع العلم أن الأجانب استعملوا في سبيل دعم هذا التوجه شتى وسائل الأعلام والترغيب .

وهكذا بدأ الإنتداب فكرة في مخيلة الجنرال سمطس البريطاني الذي كان يعمل في جنوب إفريقيا . . وبدعم من الرئيس الأميركي ويلسون .

وقد رأى ويلسون ـ بعد مشورة تلقاها من رئيس الجامعة الأميركية في بيروت الدكتور بلس والتي كانت تقضي أن يقف الرئيس على رأي الشعوب التي ستكون منتدبة قبل أن يقدم على تحقيق تلك الفكرة .

ومن أجل ذلك كانت بعثة (كنغ /غراين) الاستطلاعية التي وصلت إلى لبنان ووقف أعضاؤها على آراء المواطنين ومن مختلف مستوياتهم .

وقد وضعت تلك اللجنة تقريرها ولكنه أخفي ليبقى سراً . . ومع ذلك فقد تسربت منه بعض المعلومات التي أفادت أن اللبنانيين أظهروا ميلاً للإنتداب الفرنسي وأنهم طالبوا بلبنان الكبير . . . وبلبنان المستقل عن سوريا . . .

وبعد هذه المداورة . . كان صك الإنتداب وثيقة واحدة تشمل لبنان وسوريا معاً . وقد ضمنت بنوده كل حقوق المنتدبين في حين أنها تركت حقوق الشعوب المنتدبة خاضعة لتقدير الدول المنتدبة فهي وحدها لها أن تعالج ذلك الحق تبعاً لأغراضها ودوافعها .

وهكذا تلاحقت خطوات وضع هذه الوثيقة . . وهكذا تمت الموافقة

الدولية على بنودها فأقرت وأصبح أمر الإنتداب شرعياً . . فتتابعت مراحل التنفيذ .

ويتألف صك الإنتداب هذا من واحد وعشرين بنداً موزعة على صكوك ذات درجات ثلاث .

الأولى « أ » : وقد خصصت للمناطق الأكثر استعداداً للحكم الذاتي وكانت تشمل الممتلكات التي كانت تابعة للأمبراطورية العثمانية .

الثانية « ب » : وتشمل بعض المستعمرات الألمانية في أفريقيا « الكميرون مثلاً » .

الثالثة « ج » : ما تبقى من ممتلكات المانيا في المحيط الهادي .

وإزاء تدخل الولايات المتحدة الأميركية تأخر صدور صك الإنتداب من الدرجة « أ » حتى تاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٢ . ومن ثم طُبق رسمياً في لبنان يوم ٢٩ أيلول ١٩٢٣ .

ولعل أبرز مواد هذا الصك هما البندان الأول والثاني وفيهما أن تضع الدولة المنتدبة نظاماً أساسياً لسوريا ولبنان خلال ثلاث سنوات تبتدىء من تاريخ الشروع في تطبيق هذا الإنتداب .

على أن يُنظر عند وضع هذا النظام بعين الإعتبار إلى حقوق الأهلين في الأراضي المذكورة وإلى مصالحهم وأمانيهم ، وعلى الدولة المنتدبة أن تسهل لهم سبل النمو والتقدم كدولتين مستقلتين . . وقد منح هذا الصك الدولة المنتدبة حق استخدام الموانىء والخطوط الحديدية ووسائل المواصلات كافة .

تنفيذ شرعة الإنتداب .

كان أمر تطبيق الإنتداب أعظم شأناً من وضع نصوص الوثيقة . وقد تم ذلك التنفيذ على مراحل :

١ ـ المرحلة الأولى : (عهد القنصلية) .

أرسلت فرنسا إلى لبنان مفوضين عسكريين ثلاثة ممن عملوا سابقاً في إدارة المستعمرات الفرنسية حيث مارست فرنسا صلاحياتها كاملة .

حكم هؤلاء الثلاثة البلاد حكماً مباشراً ولم يشركوا معهم في إدارة البلاد أحداً من الرجال الوطنيين فأصيب هؤلاء بخيبة أمل وبدأوا بتنظيم صفوفهم ليمارسوا عمليات نضال جديد .

٢ ـ المرحلة الثانية (عهد الإستقلال . الحكم الوطني) .

مُنح لبنان خلال هذه الفترة نظاماً جمهورياً وبذلك كان النظام اللبناني أول نظام جمهوري تأسس في العالم العربي .

وقد استبدلت فرنسا خلال هذه الفترة قناصلها العسكريين بموظفين إداريين . وتحول الحكم الفرنسي في لبنان من حكم فرنسي مباشر إلى حكم فرنسي غير مباشر ذلك لأن دوائر الدولة اللبنانية عرفت المستشارين الذين كانوا يتمتعون بصلاحيات واسعة .

٣ ـ المرحلة الثالثة : الحكم الفرنسي المباشر :

كان ذلك يوم التاسع من شهر أيلول عام ١٩٣٩ يوم أعلن الجنرال « غبريال بيو » الأحكام العرفية في لبنان وعلق الدستور وحل المجلس النيابي وحد كثيراً من سلطات رئيس الجمهورية .

واستمرت تلك الحالة طيلة فترة الحرب العالمية الثانية حيث أرسلت الحكومة الفرنسية الجنرال « جورج كاترو » وكان قائداً عاماً للجيوش الفرنسية الحرة . فأعلن هذا باسم حكومته وبالاتفاق مع حليفته بريطانيا ـ وقد لعبت هذه دوراً هاماً في توجيه الأحداث أثناء الحرب ـ إنهاء الإنتداب على لبنان .

وكان ذلك يوم ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٤١ فأصبح بذلك يوم ٢٢ تشرين الثاني من كل عام عيد استقلال لبنان .

ثم توالت بعد ذلك أحداث . . إنتهت في نهايتهـا مرحلة جـلاء كل الجيوش الأجنبية عن لبنان وكان ذلك يوم ٣١ كانون الأول ١٩٤٦ .

وبهذا الجلاء تكون مرحلة الانتداب على لبنان قد انتهت .

موقف اللبنانيين من الانتداب :

كانت المرحلة الأولى من الانتداب الفرنسي في حقيقتها فترة ديكتاتورية عسكرية تعاقب خلالها على حكم لبنان ثلاثة من قادة الجيش الفرنسي الذين عملوا في ادارة المستعمرات الفرنسية وهم الجنرالات : « غورو » ، « ويغاند أو ويغان » « ساراس » .

عمـل كل منهم بـرتبة مفـوض سام يمـارس حكمـه في ظـل قـانـون عسكري .

وتُعتبر هذه الفترة من أشد الفـترات الثلاث لما كانت تتصف بـه من نقص في باب الكياسة السياسية وبعد النظر في الأمور الراهنة ومن ثم عدم الإهتمام برغبات الشعب .

ومع هذا الواقع فقد انقسم اللبنانيون حول الانتداب فرقاً . . واتخذ كل فريق لنفسه موقفاً خاصاً توقف عنده وأصر على التمسك به .

وأما القول : « بأن اللبنانيين قد رحبوا بالفرنسيين وأيدوا إقامـة دولة لبنـانية مستقلة عن سـوريا وبـاقي أجزاء العـالم العربي وبأن اللبنانيين دعوا إلى الإنتداب الفرنسي وعملوا له . . فقول يرفضه الواقع التاريخي وترفضه الـوثائق التـاريخية بالذات .

فاللبنانيون الذين رحبوا بالانتداب من الفرنسيين

لم يمثلوا كل اللبنانيين من جهة حتى ولا طائفة واحدة من جهة ثانية فمجلس الإدارة السابق لجبل لبنان والذي لا

يزال يُعتبر شرعياً قبل أن يكون الجنرال غورو على صلة به قد اجتمع في ٩ تشرين الثاني ١٩١٨ واتخذ مقررات هامة .

وقد فوض المجلس المندوبين الآتية أسماؤهم لعرضه على أصحاب الأمر وهم : داود عمون ، أميل أده ، محمود جنبلاط ، عبدالله خوري ، إبراهيم أبو خاطر، حليم حجار وتامر حمادة »[1] .

وقد ترتب على هذا الانقسام أن شهدت البلاد موجة من الاغتيالات السياسية انفجرت في سوريا ضد القادة الفرنسيين والزعماء المحليين المتعاطفين معهم .

وانتشرت عصابات الثوار في كل مكان وأصيبت الحركة الوطنية بخيبة أمل في ظل الإدارة العسكرية المنتدبة في لبنان .

وقد عبر الشيخ ابراهيم المنذر عن هذا الشعور بخيبة الأمل بقصيدة نشرها عام ١٩٢٢ بعنوان : « استقلال يبطنه انتداب » فقال :

« قد كان لي وطن أزهو به شرفاً
وأحر قلبي على فقدان أوطاني
قالوا استقل بنا لبنان قلت لهم
بالوهم أدركتم استقلال لبنان »[2]

والجدير بالذكر أن هذا القطر ـ جبل عامل ـ على ضيق رقعته وقلة عدد سكانه في ذلك الحين عاش تلك الأحداث والإنقسامات فترة من الزمن استطاعت على قصرها أن تترك في تاريخه صفحات مشرقة لا تزال آثارها بادية إلى اليوم .

---

(٢) مسعود ضاهر : تاريخ لبنان الاجتماعي ، دار الفارابي ، بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ ص ٢٧٢ .

توكيد الانتداب الفرنسيّ على لبنان :

انتهى الصراع الفرنسي ـ البريطاني في الشرق الأوسط بتكريس حق الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان وتكاد تنحصر حكاية الانتداب في تلك الفترة بقصة التناحر بين المصالح الفرنسية من جهة وبين الأماني القومية العربية من جهة ثانية .

فقد اشتد تذمر العاملين من الموظفين الفرنسيين الذين كانوا يعاملون الناس بالشدة والازدراء مقرّبين إليهم كل من وهنت وطنيته فخاب فيه الرجاء وعظم بداخله اليأس ، فكان هذا التخاذل باعثاً قوياً لظهور عدد من الجماعات المسلحة عرّفها المغرضون باسم عصابات تشنيعاً وتشويهاً .

ورغم كل المحاولات المغرضة فقد عملت تلك الفرق المسلحة على مقاومة الحكومة المنتدبة من جهة ثم انها منعت الأهالي من دفع ألضرائب . . فكان من نتائج هذا الرفض أن انزرع الرعب في نفوس المواطنين ورجال الدولة على حد سواء . . وسادت الفوضى . . واضطرب حبل الأمن وتعطلت المصالح .

وكذلك كأن الوضع في داخل سوريا فقد وصفته جريدة المشرق وهي تتحدث عن سقوط الحكومة الشريفية فقالت :

« إن الحكومة الشريفية منذ استولت على داخلية الشام ومدنها الزاهرة قد قلبتها رأساً على عقب فلم يرض عنها النصارى والمسلمون والدروز معاً إلا عمالها من أجل منفعتهم الشخصية فلا عجب أن سوء تدبيرها وتهييجها الأشقياء على النصارى وزرعها بذور الفساد في المنطقة ومطامعها الأشعبية ساءت حتى أصحابها »[1] .

(١) مجلة المشرق مجلد ١٨ ، عدد ١٠ تاريخ ١٩٢٠ ص ٦٣٩ .

استنتاج وتقدير

لن يكون صعباً على الباحث ولا حتى على القارىء العادي أن يلمح ظلال العصبية المقيتة واضحة بين الكلمات التي أوردتها جريدة المشرق .

ولا بد له أن يدرك ولأول وهلة أنها تعبر عن فكر متحيّز لم يعرف التجرد العلمي أبداً . كما أنه لم يتهيب حكم التاريخ عليه . ولذا فقد نفث سمومه عبر كلمات أثبت التاريخ عكسها بدليل تبادل التهم علناً بين حليفي الأمس : فرنسا ـ بريطانيا . ومن ثم فإنه لا شك يلمح أن مد حركة المقاومة الوطنية امتد من مناطق الجولان في أقصى الجنوب وباعترافه هو . . وأنه استمر يتوسع وينتشر حتى بلغ حدود حلب في أقصى الشّمال السوري .

وإن هذه الحركات كلها كانت تطالب بدعم الحكومة الشريفية ، فإبراهيم هنانو وأحمد مَرْيود ورشيد علامة . . وميسلون . . وأحداث القَصّاع . . (اسم حي في دمشق) كل هذه مواقف تدحض مزاعم المشرق وتبددها .

وإذا أضفنا إلى ذلك كل التحفظات التي وردت في مراسلات مكماهون نيابة عن فرنسا وكانت بمثابة مخدّر يعطى للشعب العربي . وإن اكتسبت تلك المحادثات أهمية تاريخية خاصة فبدت وكأنها أصبحت مطلباً سكانياً في كل اقطار الوطن العربي وعلى رغم أنه تقدم بها وباسمهم الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز ، وأنها من بعد غدت في معتقداتهم تمثل معنى من معاني الحرية والاستقلال .

هذه الحقائق وهذا الوضوح في مدلول تلك المباحثات كانت الدوافع التي فرضت وقوف غالبية سكان جبل عامل ضد الإنتداب الفرنسي . . ولعله من المستحسن أن أؤكد أن العامليين ـ بنظري ـ كانوا سيتخذون مثل هذا الموقف المعادي من أية دولة أتيح لها أن تمارس نفس الأساليب التعسفية فوق أرضهم .

ولا فرق عندهم إن كانت تلك الدولة فرنسية أو بريطانية . . أو غير

ذلك .

ومن المؤكد أن العامليين لم يعادوا فرنسا لأنها دولة أوروبية حملت هذا الاسم ولكنهم عادوها لكونها دولة أجنبية أرادت فرض سيطرتها على أرضهم بالقوة .

الفصل الرابع

صادق حمزة الفاعور

أ ـ مسقط رأسه ـ بيت والده ـ فرار أخيه حسين ، وتأثير أخبار عصابة أخيه هذا على نفسيته

ب ـ من هو صادق حمزة .

مولده . أشكاله وصفته ـ لباسه ـ نسبه ـ طفولته . . فراره وإلتحاقه بأخيه

ج ـ تحول صادق من جندي فار إلى رئيس عصابة ـ وقعة المجادل . . .

د ـ أخبار صادق حمزة : السماعية

الصحفية .

درس وتحليل .

سفر برلك (المجاعة) . عمل صادق أثناء المحنة

هـ ـ حرب الشائعات

محاولات إصلاح ـ ملحوظة ـ موقف صادق من هذه الإشاعات ـ درس وتحليل وتأمل

و ـ المصالح المتصارعة :

مصالح فرنسية ـ مصالح بريطانية ـ مصالح عربية

ز ـ الفرق المسلحة :

تقدير عمل هذه الفرق

موقع صادق بين هذه الفرق

مسقط رأسه

« دِبْعَال . . بدال مهملة مكسورة وياء موحدة ساكنة وعين مهملة وألف ولام . . قرية من عمل صور من قرى الساحل »[1] .

إنها بلدة صغيرة وهي حالياً ملحقة إدارياً بقضاء صور تقوم على مرتفع بسيط يطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة الغرب وتبعد عن صور شرقاً حوالي خمسة عشر كيلومتراً .

لا يزيد عدد سكانها على ألفي نسمة إلا قليلاً . كلهم بسطاء . . من أبناء الطائفة الشيعية الإمامية . مارسوا بغالبيتهم الأعمال الزراعية ، وهم حتى هذا التاريخ لم يعرفوا بعد وبتوسع زراعة الموالح وإن كان بعضهم قد بدأ خطوات وئيدة في هذا الإتجاه ، وقد حال بينهم وبين هذه الزراعة فقر مادي . . فهم يعيشون كفافاً وقد انحصرت أعمالهم الزراعية في زراعة الحبوب على اختلافها إلى جانب زراعة مساحات صغيرة من التبغ .

على أن الباحث يجد بين هؤلاء السكان من نزح إلى المدينة فعمل في التجارة وبإمكانيات شبه معدمة أو هاجر إلى خارج حدود الوطن .

ولكن هؤلاء النازحين أو المهاجرين على قلتهم فهم لم يؤثروا بعد في سير حياة المواطن كما أنهم لم يستطيعوا أن يؤثروا إيجابياً في زيادة الدخل

---

(١) محسن الأمين : الخطط . . مطبعة الإنصاف ، بيروت الجزء الأول ص ٢٣١ .

المحلي .

شاركت هذه القرية قرى عامل تقلب الأحداث وتحملت مع جاراتها العامليات جور وظلم وتعسف الأتراك وسيق عدد كبير من أبنائها إلى الجندية الإجبارية قسراً في ذلك الحين لأن ذويهم لم يستطيعوا يومها دفع البدل النقدي .

في حين خرج آخرون منهم فراراً واستطاعوا خلال فترة وجيزة أن يقودوا فرقاً شغلت المنطقة ردحاً من الزمن وكونت نواة لأخرى لعبت دوراً بارزاً في تاريخ المنطقة .

بيت والده :

تربى صادق في بيت كثرت الحركة فيه . فالناس يفدون إلى تلك الدار لقضاء حاجاتهم اليومية من جهة أو لتلقي مبادىء العلوم العربية والحساب من جهة ثانية .

فالشيخ علي حمزة الفاعور ـ والد صادق ـ كان يومها شيخ القرية أي مرشد أبنائها ومعلمهم . . وكانت داره أو إحدى غرفه تكوّن الكتاب طيلة النهار . . وتغدو في المساء « ديواناً » غرفة إستقبال يؤمها أهل الضيعة للتزود ببعض الحكايا والإرشادات أو النصائح البسيطة والتي لا تحتاج إلى عمق نظر .

وصاحب كتابنا هذا لم يكن من أهل العلم المتفقهين الذين تابعوا دراستهم وتحصيلهم العلمي في جامعات النجف الأشرف ، وإن ارتدى شيخنا هذا لباسهم واتخذ لنفسه مظهرهم فلعله فعل ذلك هرباً من سوقه إلى الجندية . . وهذا لا ينفي عنه أنه استطاع بفضل صحبته لرجال الدين المرشدين أن يلم ببعض ما علق بذهنه أثناء إنصاته زمناً لتعاليمهم بفضل رفقته وملازمته لجلساتهم التي كانت تعمر بها دواوينهم .

فإذا أدركنا ذلك كله عرفنا منزلة شيخنا العلمية وأدركنا عمق المعرفة في أذهان طلابه المتخرجين .

ومع كل ذلـك . . فقد عـرفه مـواطنوه بـاسم الشّيخ ذلـك لأن هذا الاسم يُكتسب بـالعلم اكتسابـاً ولا يحتاج إلى نسب أبـداً . . وقد اكتسبـه شيخنا بفضل صحبته وملازمته للشيوخ في القرى . . . وكانوا يومها كثر .

أثر فرار أخيه حسين على نفسيته :

حسين . . « المعروف باسم حسين الشيخ » هو الشقيق الأكبر لصادق خرج فراراً محتجاً على تعسف رجال الدولـة العثمانيـة واستطاع خـلال فترة وجيزة أن يجمع حوله عدداً من لِدَاتِهِ فكونوا مجتمعين فرقة عسكرية لعبت في منطقة صور دوراً بارزاً وكان لها أثر كبير في تحديد سلوك أخوته الباقين .

وقد عُرفت هذه الفرقة باسم فرقة حسين الشيخ . وقد قاسى النـاس الكثير من أعمال هذه الفرقـة . فهم لا يزالـون حتى اليوم يـرددون حكايـاه ويصفون اعتداءاته ويتحدثون عن قوته البدنية الخارقة .

وقد روى لي كثيرون ممن زرتهم أثناء مقابلاتي الشخصية حوادث ـ إن صحت ـ توضح بالفعل مدى تلك القوة . . وحسبي أن أذكـر واحدة منهـا جرت حسب زعمهم في سجن صور علها تكون مثالاً يوضح الصورة .

قوة حسين الشيخ البدنية :

في سجن سرايا صور كان حسين الشيخ ينفذ حكماً صدر بحقه . . وفي أحد الأيام وقد أوشك حسين أن ينهي فترة محكوميته إذ لم يبقَ عليه منها سوى إثني عشر يوماً .

في ذلك الوقت دخـل « قاووشـه » نزيـل جديـد . . وقيل : إنـه من الشمال وأنه محكوم بالإعدام . . وقيل إن تنفيذ الحكم فيه سيتم بعـد أيام ـ وأظن أن لصق هذه الصفات بهذا النزيل كانت لإبراز أهميته ـ وإنها كـانت للمبالغة ـ .

استقـر المقام بهـذا النزيـل ، وشهد ضخـامـة جسم حسـين الشيـخ وأعجب بسواعده المفتولة وسمع أوامره الصارمة التي كـان يصدرهـا لسائـر

النزلاء ـ فهو المسؤول عن القاووش . . إنه عريفه . . وشاهد النزيل الخوف يرتسم على وجوه النزلاء جميعاً كلما تكلم حسين . . لـذلك صمم هـو على معارضة هذا العريف الآمر الناهي مستعملاً معه الترغيب والترهيب فهو يريد الفرار . . وما هم كيف تكون النتائج . . فلن تكون أكثر من الإعدام .

طلب هذا النزيل من حسين الشيخ أن يخرجه من القاووش وذلك بقلع قضبان الحديد المغروسة في النافذة الصغيرة المطلة على الشارع العام . . وهدده بأنه ـ إن لم يستجب لأوامره ـ سيغدر به متى جن الليل . . وأعلمه أنه محكوم عليه بالإعدام وماذا عساه يخشى بعد ذلك .

ويبالغ الـراوي وهو يتحـدث عن سماكـة قضبان الحـديد وعن طـول القسم الذي كان داخلا منه في الجدار .

وبعد حوار مع حسين الشيـخ وافق هذا عـلى الطلب . . وفي هـدأة السكون . . وتحت جناح العتمة عالج حسين قضبـان الحديـد فلواها بقـوة ساعديـه ثم اقتلعها من مكـانها . . فخـرج النـزلاء كلهم ـ وكـانـوا كلهم مجرمين ـ وبقي حسين وحده داخل القاووش .

وفي الصباح جاء رجال الدرك على عاداتهم فلم يجدوا داخل القاووش غير حسين فأعلموا الضابط بالأمر وجاء هذا يستطلع التفاصيل . . فأكد له رجاله أن لا أحد يستطيع فعل ذلك إلا حسيناً .

استدعى الملازم حسيناً إلى مكتبه وخيّره بين أمرين :

الأول : أن يعيد الحديد كما كان سوياً في النافذة .

ووعـده بشرفه العسكـري أن يـطلق سراحـه فـوراً وعـلى مسؤولتيـه الخاصة .

الثاني : إن لم يفعل سيجلده أمـام جميع المسـاجين في سـاحة السجن العامة .

فما كان من حسين الشيخ إلا أن ضغط الحديد بين يديه فقومه ثم أعاد

وضعه في النافذة كما كان من قبل .

وبالفعل وفى الضابط بوعده . . وأطلق سراح حسين وعلى مسؤوليته قبل أن ينهي المدة المتبقية من فترة عقوبته[1] .

أثر قوة حسين الشيخ في نفوس عارفيه :

هذه حادثة من كثير يحفظها الناس عن قوة حسين الشيخ البدنية ومن أجل هذه القوة كان الناس يهابون حسيناً ويخشون أذاه ومن ثم فإنهم كانوا يخشون الوشاية به أو إرشاد رجال الدرك إلى موقع المغارة التي كان يختبىء فيها مع رفاقه أو إلى المكان أو الناحية التي سار إليها . . ذلك لأنهم كانوا يعرفون أنهم لن يسلموا من أذى حسين إن فعلوا .

أضف إلى هذا وضوح الخوف على وجوه رجال الدرك فقد رسمته الإشاعات رعباً في قلوبهم . . . وتصوروا حسيناً مارداً تطالهم يده كيف تحركوا . . ومن أجل ذلك تقاعسوا وجبنوا عن ملاحقته أو مواجهته .

وقد اخترت مثالي هذا عن عمد لأصل من خلاله إلى البيت الذي نشأ فيه صادق حمزة وتربى ومن ثم لأقف على شعور الناس نحو أبناء هذا البيت ولأتخذ من كل ذلك شعلة أنير بها دربي وأنا أبحث عن العوامل التي أثرت في تربية صادق ومن ثم قادت خطاه ليلعب الدور الذي أبحث عنه .

---

(١) مقابلة شخصية .

صادق حمزة الفاعور .. من هو ؟

إنه أبو محمد .. فهو ولده الوحيد الذي سلم له وقد تزوج لمرات ثلاث ، الأولى : من آمنة مطر والثانية من خديجة حرب وهي أم محمد والثالثة من عبده علي بزي .. وهذه لازمته حتى وفاته .

لم أعثر لصادق حمزة في بلدته مع أبناء أخوته أو أحد أقربائه على تذكرة هوية كما أن أحداً منهم لم يستطع أن يحدد لي تاريخ ولادته . مع العلم أنني عثرت له على صورة توضح أشكاله وأشهد أنه كانت لي حكايا غريبة مع أصحاب هذه الصورة قبل أن يتاح لي استعمالها كوثيقة ..

ومن أجل كشف هذا الغموض وإنارة تلك العتمة تقدمت من دائرة نفوس صور بطلب إخراج قيد صادق حمزة الفاعور ـ دبعال ـ فأعيد إليَّ طلبي . الملحق رقم ـ ١ ـ.

مولده :

وبناء على ذلك الملحق فإن صادق حمزة الفاعور وُلد في قرية دبعال قضاء صور عام ١٨٩٤ م والده الشيخ علي حمزة الفاعور وهو شيخ البلدة ومرشدها الديني وهو صاحب كتاب فيها ، وأمه خديجة حرب من بلدة تولين قضاء مرجعيون .

أشكاله وصفاته :

إنه ـ كما تشير الصورة وكما أقر عارفوه ـ مديد القامة يبلغ طوله حوالي خمسة وثمانين ومائة سنتيمتراً . . عُرف برشاقة حركاته وسرع انتقاله كما أنه اشتهر بمهارته باستعمال السلاح وبدقة تصويبه .

لباسه :

كان يرتدي الزي اللبناني القديم . . وهو عبارة عن سروال وجاكيت قصيرة . وكان يعتمر الكوفية والعقال الشريفي العريض المقصب .

نسبه :

أ ـ « يعود آل الفاعور بنسبهم إلى آل الصغير الذين أصبحوا فيما بعد آل الأسعد .

سكنوا في البدء بلدة معروب ـ قضاء صور . ومن ثم انتقل بعضهم إلى قرية دبعال »[1] .

ب ـ « المعروف أن آل الفاعور أمراء عرب الفضل في الجولان والملقبون بآل قطر الندى هم أشراف سادات العرب وأعرقهم نسباً لأنهم يرتقون بنسبهم إلى الخلفاء العباسيين ويمتون بصلة نسب إلى الرسول الكريم ومنهم الأمير محمود الفاعور الذي كان قد أعلن الثورة على الافرنسيين في بداية عهد الإنتداب وذلك تأييداً لنسبيه الملك فيصل الهاشمي الطامع بعرش سوريا في ذلك الزمان . . كان مقر محمود قرية واسط في الجولان » »[2] .

ملاحظات : المتتبع لسيرة صادق حمزة الفاعور يستطيع أن يلاحظ :

أ ـ بعد أن وضعت الحرب أوزارها كان صادق قد أصبح رئيس عصابة كما صوروه وقد غدت مرهوبة الجانب وأصبح هو يدعى بأمير الجبل وقد

(١) مقابلة شخصية مع مختار دبعال علي يوسف فاعور وهو ابن شقيق صادق حمزة صاحب السيرة .

(٢) سلام الراسي : لئلا نضيع ، مؤسسة نوفل بيروت جزء ١ ص ٤٧ .

اتصل به الملك فيصل عن طريق دعاته كما أتصل به رجال الأمير عبدالله ـ أمـير الأردن وهـو شقيق الملك فيصـل ـ فعمـل صـادق معهـما وتحت إشرافهما .

ب ـ عندما كانت الدولة الفرنسية تلاحق صادقاً كان هذا يهرب دائماً باتجاه الحولة ـ من أعمال فلسطين ـ وبالتحديد إلى حيث كان يقيم نسيبه محمود الفاعور . . والمتتبع لأخباره يلاحظ أن صادقاً ترك محمود نسيبه بمجرد أن تحول هذا عن تأييده للملك فيصل . . أحداث عام ١٩٢١ .

ج ـ بعد معركـة ميسلون لجأ صـادق حمزة إلى الأردن وعمـل في ظل الأمـير عبدالله شقيق الملك فيصل وبإمرته . . وقد بقي هنالك حتى نهاية حياته .

د ـ لم يتخذ صادق موقفاً واحداً مناهضاً أو معادياً من قضايا الملك فيصل أو من قضايا أخيه الأمير عبدالله . كما أنه لم يتنكر لأحد من أنصارهما ولو مرة واحدة طيلة حياته .

هذه الملاحظات تعزز رأي الاستاذ سليم الراسي الواردة في كتابه لئلا تضيع . خاصة إذا عرفنا أن صادق حمزة كان شبه أمي وأنه لم يكن صاحب رسالة ثورية ذات مناهج وقوانين .

ويغلب الظن أن الدافع الوحيد لمواقفه تلك هو أنه كان يؤمن أن صلة نسب كانت تجمعه بالملك فيصل وبأخيه . . وأن هذا السبب وحـده كان كافياً ليجعل منه إنساناً هاشمياً وفياً لمبادئه .

وأخيراً ـ كما يغلب الظن ـ من هذه الزاوية بالذات كان ميله وتعصبه الشديد لكل قضية تهم الملك فيصـل أو أخيه . ولعلهـما كانـا معاً يعـرفان شعوره هذا ولذا كان أحدهما يكلفه دائماً بكل أمر هـام وصعب يحتاج إلى إخلاص وجرأة .

طفولة صادق :

عاش صادق حمزة في كنف والده طفلاً مدللاً . فهو صغير أخوته . .

ترك وضع والده الإجتماعي في نفسه عادات وتقاليد كثيرة انعكستّ بعد على تصرفاته يوم أصبح شاباً . وقد تميز بها على لدانه في القرية .

فقد عرف صادق بصدق لهجته وبوفائه . . وباحترامه للمرأة وحيائه منها . . كما عُرف بشدة تمسكه بالكلمة التي تحمل وعداً منه أو له .

كل هذه الجذور تركت في نفسه كرماً لا حدود له وحباً للضيف ونصرة للضعيف . . وأنفة . . وكثيراً ما شهد صادق حلولاً لمعضلات الناس في ديوان أبيه وإن صغرت . . فاستهوته هذه الأحكام وراقب إجراءاتها فأحبها وانزرعت وعن غير قصد في قرارة نفسه لتصحو يوماً .

كل ذلك سينعكس على تحركاته وتصرفاته بعد حين . فعندما أصبح صادق فتى . . وامتلأ جسمه فتوة وتكامل نموه أغوته الطبيعة بجمالها واتساعها وتعلق بالسلاح وإن يكن سلاح صيد .

ولكي يشبع نهمه هذا صمم أن يكون راعي القرية . . يسوق القطيع كل صباح إلى جهة . . ففي هذه المهنة ما يشبع نهمه للصيد وحمل السلاح من جهة ويساعده على أن يأمر فيُطَاع من جهة ثانية . ومن ثم فقد أصبح باستطاعته أن يطلق النار في كل اتجاه فجماعات الطيور تمر فوقه تروح وتجيء .

وهذا غاية ما كان يرجوه ذلك الفتى في حياته ، ولذا فقد أحب هذه المهنة وأخلص لها .

أثر البيئة في نفسيته :

عاش هذا الفتى مرتاحاً هادىء البال ردحاً من الزمن . يخرج في الصباح الباكر سعيداً فرحاً ممنياً نفسه بصيد سمين وفير أو بإصابة أهداف دقيقة . . ومن ثم بنزهة مع قطيع مطيع ينفذ الأوامر . لا يقاوم ولا يعترض . ثم يعود في المساء طافح البشر نشيطاً . . فيلتقي أصحابه لبعض الوقت . . يحدثهم . . يروي على مسامعهم مغامراته مع السمن أو

الشحـــرور . . أو يقص عليهم مـا فعله الكـــراز . . أو « القــرعــة » . . فيضحكـون . . وكانـوا هم يشرحون لـه أخبار الضيعـة وأحداثهـا اليوميـة معلقين على كل حادثة بما تجود به مخيلاتهم وكثيراً ما كانت تحلو حكايا التنور والساحات كلما اجتمع الشمل في الريف العاملي .

وبعد هذا كان صادق يتركهم ليذهب إلى فـراشه ويستسلم إلى نـوم هادىء عميق يريحه من تعب يومي ويعيد إليه نشاطه ليوم جديد .

ومرت الأيام سراعاً . . وبدأت أحاديث الضيعة تتعدى حدودها ومن ثم تغيرت المواضيع التي أَلِفَ ذلك الفتى سماعهـا . . فهذا فـلان من أبناء القرية المجاورة اعتدى عليه رجال الـدرك الأتراك وسلبـوه غلة موسمـه . . وذلك آخر كمن له لص خارج الضيعة الفلانيـة و« شلّحه » عنـوة ما كـان يحمل من نقوذ . . وذاك ثالث قبضت عليه الدولة العثمانية عنوة وساقته إلى معسكرات التدريب تعـده أيامـاً ثم ترسله بعـدها إلى بـلاد اليمن . . فهو مطلوب . .

كـثرت مثل هـذه الأخبار . . وبـدأ القلق ينغص على صـادق راحته ويقض عليه مضجعه . . وتحلقت به الوساوس والأوهام لا سيما وإن أخاه الكبير حسيناً قد أصبح « فراراً » خارج البيت لا يـزوره إلا لماماً وإن فعل فبالخفاء . . على رغم أن أخبار هذا الأخ قد انتشرت في قرى المنطقـة كلها ومع هذا فهو يعود إلى بيته متخفياً .

لقد قال عنه الناس أنه يعيش في المغاور والكهـوف . . يسطو عـلى المـارة . . ينتظر قـوافل القـرى وهي في طريقهـا إلى المطحنـة أو إلى أسواق القرى والقصبات ليسرق منها ما استطاع حتى الأحمال في بعض الأحيان وإن اضطره ذلك إلى الإعتداء على سلامة الناس أو الفتك بحياة بعضهم .

كـل هذه الأخبـار سمعها صـادق من لدانـه وهو في البـدء لم يعرهـا التفاتاً . . إذ ما شأنه هو إن فعل أخوه كل ذلك ؟ ولِمَ يهتم هو والدولـة لم تطالبه بعد بصغيرة أو بكبيرة حتى أن أحداً من رجالها لم يجرؤ بعد عـلى أن

يدنوا من قطيعه محاولاً الإعتداء عليه أو التحرش به . . وهذا القطيع هو كل ما كان يعني صادقاً في ذلك الوقت . . فهو دنياه التي يعشق . . وهو عالمه الخاص المجبر هو بالدفاع عنه .

فراره . . والتحاقه بفرقه أخيه عنصراً .

ومرت الأيام . . . واشتد ظلم الدولة العثمانية بنظره فقد ورد اسمه في لائحة المطلوبين للجندية .

وكيف لا يرد اسمه وهو لم يكن يتمتع بصفة واحدة تسمح باعفائه . إذن فإن الدولة التركية ستحرمه هناء عيشه وستسلخه عن القطيع الذي أحب ومن ثم فهي ستنغص عليه حياة عاشها وعشقها .

وفي أحد الأيام . . وكان يسوق قطيعه إلى المرعى داهمه جنديان مسلحان أرسلا بطلبه فألقيا القبض عليه ثم ساقاه باتجاه صور حيث سيتم اعداده ومن ثم سبوقه . . وقد تركا قطيعه يسرح بلا مدبر .

وفي الطريق . . وقد بعدا عن ضيعته قليلاً أحس صادق بحراجة الموقف وداهمه شعور الوفاء لصديقه القطيع فهو المسؤول عن سلامته وهو حاميه . . وكانت نفسه قد امتلأت حقداً على الجنود الأتراك وراودته الحرية التي نعم بها سنين طويلة وتمثل أمامه المستقبل المظلم وضجت به أفكار وتساؤلات .

ما دخله هو ليحارب مع الأتراك في اليمن ؟ .

وضد من سيحارب ؟ . . إنه لا يعرف شيئاً ؟ . . .

تخيل كل ذلك بلحظات ثم عزم على تنفيذ أمر . . ولتفعل الدولة التركية بعده ما تشاء .

وفجأة . . انقض صادق على أحد الجنديين ـ ويبدو أنهما قد اطمأنا إلى عدم مقاومته ـ فأمسك به وألقاه أرضاً بعد أن استولى بخفته المشهورة على « بارودته » فأصبح الجندي أسيراً بعد أن كان آسراً ، ولاذ الثاني بالفرار . .

لأنه كان على ما يبدو لا يؤمن بما أمر بتنفيذه أو لعله كان قد سمع أخبار حسين الشيخ شقيق صادق فخاف عاقبة المصير وأدرك بعقله أنه لن ينجو من القتل إن هو أقدم على قتل صادق أو إذا حاول ذلك على الأقل . . لذا فقد فضل الهرب متيقناً أن صادق لن يلحق به وأنه لن يطلق عليه النار ما دام لم يؤذه . . .

حمل صادق بندقية الجندي الأسير واتجه إلى وادي المغاور[1] بعد أن أرسل أسيره حراً . . . وهناك التقى أخاه حسيناً . . فأخبره تفاصيل ما جرى ، ثم انضم إلى العصابة .

وهكذا كان هذا الحادث إيذاناً ببدء عصيان صادق حمزة الفاعور . . وهكذا أضافت الدولة العثمانية اسماً جديداً إلى لائحة المطلوبين الفارين[2] .

تحول صادق من جندي فار إلى رئيس عصابة .

لم يطل الوقت كثيراً حتى تسلم صادق من أخيه حسين قيادة العصابة وبذلك تحولت تلك المجموعة وعرفة باسم « عصابة صادق » .

ويروي المحدثون الكثير من أخبار هذه العصابة . وقد تبين لي بعد الاستماع والإصغاء أن حادثتين اثنتين حولتا صادق حمزة الفاعور من جندي يعمل في عصابة إلى رئيس لتلك العصابة . . ومن أجل ذلك أحببت أن أثبتهما على سبيل المثال . فهما تعرّفان وتوضحان بعض صفات صادق .

الأولى : وقعة المجادل :

المجادل ، هي قرية تقع إلى شرقي بلدة جويا . . وهي قريبة جداً من دبعال مسقط رأس صادق .

غزا يوماً حسين الشيخ ـ وكان رئيس العصابة ـ قافلة دواب تخص

---

(١) الملحق رقم ٦ .

(٢) . . وضعت هذه المعلومات بعد مقابلات شخصية تمت في دبعال مسقط رأس صادق .

أهل المجادل . . وكانت تلك القافلة في طريقها إلى مطاحن الحجير فسلبها ما كانت تحمله من غلال .

ووردت أنباء إلى العصابة تفيد أن أهل المجادل يعدون أنفسهم لأخذ الثأر من حسين الشيخ . . وقبل هذا التحدي . . وقرر أن يعاود الكرة .

ويبدو أن خبر هذا التصميم بلغ أهل المجادل ، فقد كان أحد أبنائها مع الفارين في فرقة حسين . . أنه عبدالله فريدو . . ـ لذلك تأهب أهل المجادل واحتالوا للإيقاع برجال العصابة . . فحملوا دوابهم تبناً وما شابه . . وأرفقوا قافلتهم بعددٍ من النساء والصبية وقد ارتدين ألبسة رجال . . وتحركت القافلة بعد منتصف الليل . . وقبيل موعد صلاة الصبح كالعادة . . وكمن رجال البلدة حيث قدروا أن يكون كمين أفراد العصابة . . وكان سلاحهم عصي وحجارة إذ أن الأسلحة النارية في ذلك الحين كانت وقفاً على رجال الدولة وبعض أفراد العصابات .

ووصلت القافلة إلى حيث الكمين ، . وخرج أفراف العصابة من مخابئهم يعترضون القافلة . . وفي هذا الوقت كان صادق قد انضم إلى أخيه .

وخلال ثوانٍ وجدوا أنفسهم محاطين بعددٍ كبير من الرجال وكان من عادة اللصوص في ذلك الوقت أن لا يطلقوا النار وأن لا يسفكوا دماًإلا في حالات العجز العضوي التام ـ وعندما تصبح حياتهم بخطر فعلي . . حتى وإن كان الخصم مجهولاً . . فكيف يكون الحال إذن والمتحاربين يعرفون بعضهم ؟ . . حتى الإسماء كلها معروفة عند الطرفين .

إذن لا مجال هنا لإطلاق النار ثم القتل . . فهذا أمر مقضي سلفاً . . وإنما ستكون المعركة مناوشة بالعصي وبالحجارة . . وستكون الغنائم من نصيب القويّ المقتدر .

وقف صادق وأخوه في وجه المهاجمين . . وأرسلا قافلة الدواب مع الرجال الآخرين باتجاه المغارة ، واستمر الكر والفر . . وبعد فترة دب الوهن

والعياء إلى جسم حين القائد وكاد يقع على الأرض عياءاً فقد كان ضحم الجثة بديناً بطيء الحركة رغم فتوته . . فقذفه صادق خلفه واستقبل المهاجمين وحيداً فكان يشد على الرجال فيفرون من بين يديه ثم يدفع بأخيه على طريق الإنسحاب .

وطال الوقت . . ولم يضعف صادق ولم يداخله الوهن ولم يستطع أهل المجادل على كثرتهم تخليص شيء من بضائعهم وإن كانت تبنأ كما أنهم لم يستطيعوا أن يلحقوا أذىٍ بصادق .

إن هذه الحادثة يعرفها ويرويها عدد كبير جداً من أبناء قرى منطقة جويا حيث كان مسرح عمل فرقة صادق . . وهي تشير بوضوح إلى أن صادق حمزة كان لا يحب القتل في سبيل القتل وإنما كان إنساناً يقبل التحدي . . وإنه يتمتع بشجاعة خارقة وبخفة حركة ورشاقة تحرك . . ولذا فقد استطاع بمفرده أن يخلص أخاه وأن يسوق الغنائم وأن ينجو من الأذى على رغم بقائه وحيداً في المعركة في حين أن الرجال الذين كمنوا لأخيه كانوا كثيرين وقد أرادوا تأديبه ثأراً .

وانتهت هذه المعركة بتخلي حسين الشيخ عن قيادة العصابة لأخيه صادق . . ومنذ ذلك التاريخ أُلصِقَ اسم الفرقة باسم صادق .

جعل صادق المغارة حيث كان يقيم أخوه مقراً لتحركاته فهي تقع على جانب سلسلة أودية متلاحقة كان يعبرها المهربون ليلاً هرباً من رجال الجمارك . . فهي صعبة المسالك وعرة . لها منافذ عديدة تسير باتجاهات طولية وعرضية مختلفة . . وعلى كتف إحدى هذه المنعطفات . . وعند مدخل الوادي الشمالي تقوم تلك المغارة التي عرفت باسم « مغارة البزاز » لتحجر الماء فيها على شكل مسلات مستديرة تشبه ثدي المرأة إلى حد . . وهي تقع في خراج بلدة جويا ولا يمكن الصعود إليها من قعر الوادي أبداً . . فإن طريق الصعود من هناك حاد الإنحدار .

أصبحت تلك المغارة مقر عمل صادق . ومنها كانت تنطلق دورياته

وإليها تعود بالغنائم . وسيطر الوهم على شعور رجال قوى الأمن فقد أشاع الناس أن نمراً يقيم بجوار تلك المغارة وأنه قتل عـدداً من المواشي . . ومما سمعته وأنا أعمل في مدرسة جويا الرسمية مدرساً في مطلع الخمسينات أن نمراً هاجم أحد أبناء قرية وادي جيلو فمزق لحمه ولكنه لم يقتله .

أخبار عصابة صادق .

تحدث الناس عن أعمال هذه العصابة ما يكفي لملء صفحات عديدة . . وقد نُسبت إليه الخوارق . . وتوزعت أخباره وصفحات الصحف اليومية وإن اختلفت صورها وأبعادها . . لذلك سأكتفي بذكر بعض ما وصل إليَّ بالتواتر على سبيل المثال عليّ بذلك استطيع أن أتعرف من خلاله على صادق حمزة الفاعور عن كثب ومن دون أن أعتمد على ما يصوره لي الخيال .

ولذا فقد جعلت مصدر ما وصل إليَّ من أخبار صادق موزعاً كما يلي :

أ ـ أخبار سماعية : قتيل عين بوكسيه[1] .

كان صادق وبعض رفاقه يغتسلون ليلاً في عين بوكسية . . وطبعاً كانوا يتقنون فن المراقبة والحذر . . ومن أجل ذلك فقد انقسموا إلى فريقين :

الأول : نزل إلى الماء حيث النبع يغتسل . . .

الثاني : اتخذ له مواقع قتالية خشية وقوع اعتداء أو هجوم مباغت .

وفجأة سمع صادق صوت وقع أقدام من بعيد . . . فالطريق كثيرة الحصى . . فأنصت مصغياً . . وتبين له بحكم الخبرة أن القادمين اثنين لا أكثر . . . فصرخ بهما وطلب منهما أن يعرفا بنفسيهما . . فأجاب أحدهما

---

(١) عين بوكسية : ملحق رقم ٦ .

قائلاً : أنهما من الحولة وأنهما فاران . . ولكن صادق عرف صاحب ذلك الصوت . . إنه عباس راضي ـ وهو من بنت جبيل متزوج من بلدة جويا ـ فرد عليه صادق قائلاً : بل أنت عباس راضي . . فمن الذي برفقتك ؟ .

فما كان من الرفيق إلا أن اتخذ لنفسه موقعاً قتالياً ثم بدأ يطلق النار باتجاه صادق ومن دون أن يصغي إلى صوت عباس راضي يزجره .

صاح به صادق ـ وكان جهوري الصوت ـ يا هذا . . أنا صادق الحمزة . . توقف عن اطلاق النار وقدم نفسك . . فإني أعدك بالعفو . . وأنت تعرف مهارتي إن صوبت . . فانجِ بنفسك ووفر دمك .

فلم يلتفت رفيق عباس لهذا القول ، كما أنه لم يصغ لصراخ عباس رفيقه وتابع يطلق النار باتجاه صادق وكأنه يحاول قتله . . فأمسك صادق « بارودته » وصوب نحو مصدر النار ورمى . . فأصاب المختبىء . . وقتله . . ولاذ عباس بالفرار محتمياً بالعتمة .

وعندما وضحت الرؤيا تبين أن القتيل هو ابن أخت عباس راضي .

ومن غرائب الأمور أن عباس هذا ـ وبعد الحادثة بفترة وجيزة ـ احتمى عند صادق وأصبح جندياً في فرقته .

ب ـ أخبار صحفية

تسلط عصابة صادق :

تناقل الناس أخبار صادق وذاع صيته فأخذ الفارون يفدون إليه من كل ناحية يحتمون به وعنده . . فكثر عدد أفراد العصابة وعظم شأنها فأصبحت تصول وتجول في المنطقة تفرض الجزية وتغير على القوى في وضح النهار تسلب ما وصلت إليه الأيدي من متاع وأموال وغلال . . ومن ثم تنصّب نفسها حاكمة بديلاً عن السلطة الشرعية . . فهي تحدد كميات الضرائب ونسبها وهي تجبي المبالغ الواردة في اللوائح بواسطة أفرادها المعتمدين وكانت تعطي المكلفين إيصالات رسمية خاصة .

ومن غرائب الأمور أن الدولة وبعد انقضاء فترة الانتداب اضطرت إلى الإعتراف بتلك الإيصالات رحمة بالناس الذين وقفوا من تلك الأعمال موقف المتفرج . . فقد كان المواطنون لا يجدون في الدولة الشرعية وقتها حامياً يدفع عنهم شر هذه العصابات ومن ثم فهم لا يستطيعون أن يمتنعوا عن تنفيذ طلبات أفرادها إذ لا قدرة لهم على مقاومتهم .

ولعل في الصورة التي عرضها الشيخ أحمد رضا في مذكراته أبلغ تعبير ، فقد قال : « الأخبار الطارئة في جنوبي عامل (بلاد بشارة) أن الثائرين قد ملكوا ناصية المنطقة وأن الحكومة لم يبق لها أدنى أثر ولا سلطة حتى إن مأموري المالية والدرك لا يقدرون على التجوال فيها وهي أشبه بالعصيان التام »[1] .

وإذا أضفت إلى هذا القول ما نشرته جريدة البشير عن حوادث قضاء صور أكون قد حاولت توضيح ما جاء مبهماً في الصورة الأولى سيما وإنني بذلك قد أخذت بقولين كان لكلٍ منهما موقعاً متعارضاً مع الآخر . . فالشيخ أحمد رضا كان في بلدة النبطية . . ومن رجال الحركة الوطنية (الخط العربي) أما جريدة البشيرة فهي جريدة تصدر عن جامعة القديس يوسف . . . وهي في الموقع المقابل لموقع الشيخ أحمد رضا . . . (الخط الفرنسي) .

وبعد المقابلة بين القولين . . تتوضح الصورة . . .

لقد قالت جريدة البشير :

أ ـ « حوادث هذا القضاء (يعني قضاء صور) المنكود الحظ تكاد تنحصر في أعمال السلب والنهب والقتل التي تجريها عصابة من اللصوص من نحو من خمسة أشهر إلى اليوم والتي لم تزل

---

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ ص ٨٥٦ .

تمرح وتسرح بدون ممانع ولا معارض . ومما لم يسبق له مثيل هو أن صادق الحمزة مع عصابته يطلب من القرى الأموال الأميرية كأنه ملك البلاد وقد أجبر أهل عين بعال (قرية في قضاء صور) على دفع / ٣٦٠ /ل . ذ . وهو ينادي بأنه يريد أن يجمع كل أموال المهاجرين من قضاء صور . فإنها أموال سائبة ترجع ملكيتها له »[٢] .

ب ـ وقالت : « وصار الآن رجال العصابات ينهبون الكل دون تمييز بين طائفة وأخرى لأنهم يريدون من وراء ذلك المكاسب السهلة . إننا ننبه القراء الكرام أولاً إلى أن الأشقياء لم يترضوا لابناء مذهبهم . وثانياً أنهم رفقوا بالشاب بشارة موسى لمجرد احتمائه صداقة الحاج اسماعيل افندي يحي . . »[١] .

ج ـ ثم أضافت البشير : « . . وقد أدى الخوف ببعض القرى إلى أن تدعو صادقاً المذكور وتقيم له الولائم ثم وتدفع له الأموال ليتركها وشأنها » .

درس وتحليل :

بعد قراءتي لهذه النصوص تصوّرت أن صادق حمزة الفاعور هذا قد أصبح من أغنياء بلدته بل أنه من أغنياء المنطقة بأسرها . أو على الأقل أنه من أصحاب ملكيات واسعة فيها .

ذهبت إلى دبعال ـ مسقط رأس صادق ـ وبدأت أتسقط أخباره المالية

(٢) جريدة البشير : ٢٠ نيسان ١٩٢٠ ص ٢ .
(١) جريدة البشير ٢٠ نيسان ، ص ٢ .
(٣) جريدة البشير ٢٠ نيسان ، ص ٢ .

عن كثب وأتعرف على ملكيته ومدى إتساعها .

وتكررت زياراتي لأبناء البلدة وقد حددت مواقعهم فهم من مختلف الميول السياسية . . وكانوا كلهم ممن تقدمت بهم السن وعرفوا صادق وعايشوه . . وفيهم من كان معه رفيق دربه . وبعد أحاديث استعملت فيها وسائل لّف ودوران حيناً والصراحة أحياناً . . وبعد إجراء مقابلة بين اعترافات الأصدقاء والخصوم على السواء . بعد هذا كله عرفت أن صادق حمزة لم يكن طامعاً بجمع ثروة . . فهو لم يخلف لولده الوحيد محمد شيئاً مادياً غير الذي ورثه عن أبيه الشيخ علي .

وللحقيقة أقول : إنني شاهدت وبأم العين بيت أبيه وقد أصبح اليوم طللاً وتحول إلى كومة أحجار تشير إلى أنه لا عهد له بالخرسانة المسلحة أبداً وإنما هو الآن عبارة عن كومة أحجار بُنيت وسُقفت بالتراب الأحمر المجبول بالقش . . إذ هكذا كانت تُبنى غالبية بيوت القرى العاملية في ذلك الحين .

وعرفت أيضاً أن ولده الوحيد محمداً ـ وقد توفي حديثاً ـ فقد أتيح لي التعرف عليه وأنا أبحث عن سيرة والده ـ لم يترك لأولاده سوى ما خلّفه له والده عن جده .

عجبت لحصيلة الأجوبة ـ أجوبة أهل القرية ـ فعاودت السؤال وبلطف . . كيف يكون الأمر كما تزعمون والروايات والأخبار تملأ صفحات الصحف وكلها تتحدث عن وفرة الأموال التي كان يفرضها صادق على خصومه في القرى . . أو التي كان يجبيها على أنها ضرائب دولة . . حتى وتلك التي كان يغتصبها من قوافل المارة . . فكما ترون . . لقد تعددت بالنسبة إلى صادق طرق الجباية وتنوعت الأساليب .

فقيل لي : إن صادق حمزة كان يحرم على نفسه كل مسكر أو مخدر وأنه لم يتعرف أبداً على الميسر طيلة حياته وأنه فرض على رفاقه وجوب التقيد والإلتزام بما حرم الله . ثم أضاف بعضهم : لو عرفت أيها الأخ أعمال صادق أيام المجاعة لسَهُلَ عليك تصديق ذلك ولتخلّصت من ضياعك الفكري .

ومن بعد فإنك تستطيع أن تعرف أين وكيف ذهبت الأموال ؟ .

وعلمت في النهاية أن الغاية التي من أجلها فرض صادق على أبناء القرى ضرائب مخصوصة ثم قام بجمعها بمساعدة أعوانه كانت أسمى بكثير مما أرادته بعض الصحف المغرضة ونشرته على صفحاتها اليومية .

صادق والمحنة : سفر برلك « عام المجاعة » .

كان عاما ١٥ و١٦ وتسعماية وألف عامي شؤم على العامليين بل على اللبنانيين عامة .. فتركيا التي دخلت الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور رأت تحركات رجال السياسة وأصحاب الفكر العرب وسمعت دعواتهم الإستقلالية ثم أنها علمت بأمر المفاوضات التي كانت تدور بين العرب من جهة (بشخص الأمير فيصل نجل الشريف حسين بن علي) وبين دولتي فرنسا وبريطانيا من جهة ثانية . فهالها الأمر وكشرت عن أنيابها فزرعت الرعب في أنحاء القرى وداهمت المنازل تغتصب ما تجد فيها من أنواع الحبوب وفرضت على الناس ضرائب جديدة لا قبل للمواطنين بها من قبل ولا طاقة لهم على تأديتها . .

ثم وجدت تركيا أنها بحاجة إلى عنصر الشباب تغذي بهم طوابيرها فأفرغت القرى العاملية من هذه الطاقات البشرية وذلك عن طريق تنفيذ قانون التجنيد الإجباري . فأدى ذلك إلى بوار الأرض في القرى الشيعية العاملية .. وقضت بذلك على كل اهتمام بالزراعة .. ولم يزرع المواطنون ما دامت تركيا ستصادر الحب إن سلم من الآفات ؟ .. ثم مَنْ من الناس بقيت له القدرة على ممارسة الأعمال الزراعية .. فالشباب غدوا جنوداً أو فراراً . ولم يبقَ منزرعاً في القرية غير العاجز والمريض والطفل من الذكور .

كل هذا أدى إلى تقليص المساحات المزروعة كثيراً وأدى ذلك إلى حاجة المواطن وعوزه لأن سكان القرى في ذلك الحين كانوا يعتمدون في مصروفهم السنوي مبدأ المقايضة في كثيرٍ من الأحيان .

ولم يكف العامليين ما هُمْ فيه من بلاء الأتراك وظلمهم .. فقد نزل

بهم بلاء أعظم . . إنه الجراد بنوعيه : الطائر والزاحف . . هذا يقضم ما يصل إليه ولن يترك أخضراً ولا يابساً وذاك يطير يبحث عن الأخضر واليابس فيقضي عليهما .

والشعب وحده كان العاجز الذي لا حول له ولا قوة . . فالدولة الحاكمة لاهية لا يعنيها هذا الأمر ولذا فهي لم تحاول مد يد العون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المواسم .

ولِمَ تفعل ذلك أو تحاوله ما دام السكان العرب لم يصبحوا بعد أتراكاً . . ولن يصبحوا كذلك يوماً .

ومع هذا الهجوم الزاحف والطائر تراكض الناس يسرقون من أسراب الجراد بقية مواسمهم . . وإن تم لهم ذلك فلقد كانت الكمية المسترجعة لا تهدىء جوع المواطنين . . . إذن كيف ستكون حالهم وقد تنوعت حاجياتهم اليومية وداهمتهم قوات الأتراك تصادر ما سرقوا ليكون مؤونة للجيش ؟؟ .

وبدأ صراع التموين هذا عنيفاً . . فالمواطن يخبىء مؤونته تحت الأرض وفوقها . . والدولة ترسل دورياتها المتواصلة تداهم البيوت . . تهدم الجدران بحثاً عن مؤونة الفلاح . . والويل كل الويل لمن تجد الدولة عنده مخزناً من الحبوب . . فإنها تصادره ومن ثم تفرض على صاحبه غرامة مادية باهظة .

وعبر هذا التزاحم المرير المتنوع الأساليب ـ وعبر عيون أعوان الدولة والمستفيدين انسلت ألمانيا تزاحم المواطنين وتسلبهم لقمة عيش أطفالهم . . فهي تفرض عليهم شراء ما لديهم من حبوب وبأسعار لم يكونوا يحلمون بمثلها يوماً . . وإذ امتنع مواطن عن البيع أو تردد خوّفته ألمانيا بأنها ستسلط عليه الأتراك ـ وهم حلفاؤهم ـ والمواطن يعلم بقية ما سيكون .

وعرفت القرى العاملية عمليات بيع سرية سرعان ما توسعت وانتشرت ذلك لأن المواطن يومها لم يكن يفكر بغده أبداً فله الساعة التي هو فيها .

وفجأة قفز سعر المد من القمح (وهو وحدة كيل معروفة) في القرى من عشرة قروش إلى خمس عشرة ليرة ذهبية . ثم استمر في الإرتفاع : « وظهرت في نفس الوقت عمليات مقايضة رهيبة إذ أن أصحاب الأملاك ـ وكانوا لا يمارسون الأعمال الزراعية ـ بدأوا يعرضون مساحات واسعة من الأرض مقابل مد أو مدّين من الحنطة أو الذرة فقد عض الجوع كل الناس حتى الفلاحين الذين باعوا مواسمهم »[1] .

وطالت الأزمة . . وأفرغت البلاد من الحبوب وأقفل طريق البحر بسبب الحرب . . فلا تصدير ولا استيراد حتى ولا دولة تهتم بحاجات المواطنين .

في هذا الجو انتشرت أعمال السلب والنهب ومات الناس جوعاً على الطرقات العامة وفي البراري والساحات تماماً كما تنفق البهائم . . ماتوا جوعاً لأنهم لم يجدوا ما يأكلونه حتى البلوط (ثمر أشجار السنديان) وحتى الجيف المتعفنة النتنة فقد سبقتهم إليها حيوانات البرية . . ثم تفشى الطاعون .

عمل صادق أثناء المحنة :

في هذا الجو المتردي ازداد نشاط صادق حمزة وبدا هو عبر نشاطه الإنساني ثائراً اجتماعياً واعياً رغم كونه لم يتخرج من جامعة . . وإنما كان يلم بمبادىء القراءة إلماماً .

لقد اتسعت منطقة عمله ـ فقد غابت الدولة تماماً عن مسرح الأحداث ـ وكثر رجاله الذين أغاروا على قوافل تموين الجيش التركي يسلبونها ما كانت تحمله مؤونة لفيالق الجيش ثم يوزعها بعد توضيبها على الفقراء والمعوزين والمساكين والمحتاجين وما أكثرهم في أغلب القرى العاملية .

ولم يكتفِ صادق بهذا المورد التمويني . . بل إنه عمد أيضاً على إجبار

---

(١) محمد جابر آل صفا العاملي : تاريخ جبل عامل ، دار متن اللغة ، بيروت ص٢٠٢ .

الأهالي القادرين على المساهمة في هذا العمل التمويني الإنساني . . فزاحم بذلك العسكر التركي وداهم المنازل يبحث في مخابئها ـ وكان يعرف مواضعها بحم الخبرة ولأنه كان واحداً منهم ـ وساعده على عمليات الكشف هذه أولئك الفقراء والمساكين الذين تحولوا عيوناً لا تنام ترشد صادقاً إلى مواضع المخابىء المستحدثة المعتمدة .

وفوق ذلك فقد فرض صادق على أغنياء المنطقة جزية مالية اتخذت طابع « الخوّة » أي الأخذ عنوة . . وأظن أن هذا التصرف كان لأن هؤلاء الأغنياء لم يبادروا ذاتياً لمشاركة أبناء منطقتهم آلامهم وذلك بتحمل بعض الأعباء المالية . . وكانت متوفرة لديهم .

وأظن أيضاً أن هذه الأعمال كانت وراء ما نشرته جريدة البشير متخذة من ذلك الواقع النبيل وجهاً مستعاراً قبيحاً ألبسته وجه صادق فغيرت بواسطته حقيقة ملامحه .

وللحقيقة أقول أنه تأكد عندي بعد اعتراف جميع من قابلت وبتواتر الروايات أن صادق حمزة كان يوزع كل ما تم له جمعه على الفقراء والمحتاجين دون أن يبقي لنفسه أو لبيته شيئاً منه .

وهذا ما يؤكد عندي أنه لم يكن طالب مال وأنه لم يكن دنياً أبداً . فهو كما أسلفت عاش ومات ولم يتملك بيتاً خاصاً به .

ولعل تربيته المنزلية ـ بيت رجل دين ـ جعلت منه إنساناً يحب الضعفاء ويعطف عليهم وينصرهم تقرّباً إلى الله سبحانه .

ولعمري ان عمله هذا إن دل على شيء فإنما يدل على روح طيبة عالية وعلى أصالة محتد ونفس كريمة لا يمكن أن تجتمع في ذات لص أو سارق أو قاطع طريق . . أو قاتل .

ولهذا فإني رأيت فيه إنساناً سوياً ـ رغم عدم تعلمه ـ ولهذا أجدني عارضت وأعارض متهميه كلهم ذلك لأنني أعرف أنه لم يستطع هو أن يجتمع

إلى الناس ـ كل الناس ـ ليحدثهم . . ليشرح لهم ما كان يعتلج بنفسه وهو المطارد أبداً ومنذ حداثة سنه . . وإن المنطقة في ذلك الحين كانت غارقة في بحرٍ من الأكاذيب والإشاعات المغرضة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس .

مع العلم أن أحداً قبلي لم يتقرب من هذا انسان كما أنه لم يحاول الإستماع إليه ولو من خلال حكايا الناس . كما أن أحداً لم يحاول أن يتحدث إلى صادق فيقف على وجهة نظره كما استمعت .

وليت أحداً فعل . . وخرج بفكرة صادقة معبرة عن حقيقة إنسان ظلمه الناس ردحاً طويلاً من الزمن .

واقع الحياة العاملية

تمهيد :

عاش سكان القرى في جبل عامل ـ مسيحيون وشيعة ـ زمناً يرزحون تحت ظلم الأتراك معرضين لمساوىء الأشقياء واعتداءات اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يسرقون المواشي وينهبون الغلات ولا يتورعون عن إلحاق الأذى والإهانة بمن يلقونه في طريقهم .

وارتضى المسيحيون والشيعة الحياة في هذا الواقع استجابة لوصايا العقلاء منهم . . فلم يحركوا ساكناً . . هكذا كان وضع أبناء الطائفتين في نهاية العهد التركي . واستمر وضعهم الحياتي هكذا حتى دخل الفرنسيون لبنان بعد الحرب . . فتنفس المسيحيون الصعداء وحلموا بالخلاص من ظلم تركي دام طويلاً . .

ولم يكن الشيعة في عامل أحسن حالاً من المسيحيين . . فقد كان أبناء هذه الطائفة بنظر دولة الأتراك مواطنين من الدرجة الثانية . . فهم أقليات وكل ما كان يصيب الأقليات من أبناء سائر الطوائف سيصيبهم ومن أجل ذلك فقد ذاق الشيعة أنواع الظلم والتعسف . وكانت هذه المعاملة تشكل القاسم المشترك الذي جمع بين أبناء الطائفتين فعاشوا معاً على أرض عامل يقاومون بصبرهم الظلم والتعسف ويهيمن على علاقتهم وئآم ووفاق داما قروناً رغم كل الظروف .

ويلاحظ المتتبع لأحداث التاريخ أن القرى المسيحية في عامل تعرضت تماماً كما تعرضت القرى الشيعية لأعمال السلب والنهب والإعتداء في أواخر العهد التركي . . وإن اختلفت هذه القرى بعدد الغزوات .

مع العلم أن هذا الاختلاف ناتج عن أن سكان القرى الشيعية سيقوا لأنهم مسلمون إلى التجنيد الإجباري بالسلاسل أو هجروا قراهم مهاجرين وفراراً فعطلت في قراهم الحياة الاقتصادية ولفها الفقر في حين أن القرى المسيحية ظلت تنعم بزحمة المواطنين فهؤلاء لم يشملهم قانون الجندية لأنهم غير محمديين . . ومن أجل ذلك عمرت قراهم وازدهرت مواسمهم الزراعية فازدادوا غنىً .

ومن هذا الواقع . . كان رجال الفرار يغيرون في كثيرٍ من الأحيان على القرى المسيحية بدافع وفرة المسروقات في منازلها . . .

فهذا الواقع الاقتصادي يوضح أن هذه الإغارات على القرى المسيحية لم تكن بدافع تعصب ديني وإنما كانت تتم بدافع طمع بصيد سمين وغنائم ثمينة . سهلة التناول . .

وفي عام ١٩١٨ رافق دخول القوات الفرنسية إلى لبنان دعوة لقيام حكومة عربية في دمشق . . واختلفت وجهات نظر المواطنين حول الموضوعين : .

رأى فريق منهم في دخول دولة فرنسا ملجأه وأمانه وخلاصه من ذل الأتراك . . فهلل لدخول هذه الدولة لبنان في حين أن فريقاً آخر رأى في الوجود الفرنسي فوق أرض لبنان . . وجوداً استعمارياً تماماً كما كان الوجود التركي . . أو كما سيكون تواجد أية دولة أخرى . . لذلك اعتبر أبناء هذا الفريق فرنسا عدوة . . فهي التي راوغته وسرقت أحلامه طوال فترة الحرب وها هي الآن تسلبه الاستقلال الذي حلم به زمناً . . ومن أجله خاض غمار حرب ضروس .

وهكذا فقد انقسم الناس بعرف العامة بين فرنسي وعربي . مع العلم

أن ذلك التقسيم لم يكن أبداً طائفياً .

حرب الشائعات :

شاءت الدسائس ألا تُبقي على هذا الوفاق وعزمت على إشعال نار الحقد والكراهية بين المواطنين جميعاً وعلى إختلاف انتماءاتهم الطائفية تحقيقاً لمآرب خاصة وطمعاً في كسب خسيس .

وخرج مروجو تلك الإشاعات تحت جنح الظلام كالخفافيش يعملون ويتحركون غير مكترثين بأولئك الآمنين فألقوا بهم في أتون ملتهب . . .

وغطت مساحات القرى ومواقد السمر حكايا وقصص تناقلها الناس عن جهل حيناً وعن لؤم أحياناً ، وشاركت الصحف اليومية في إذكاء تلك النار إذ نشرت على صفحاتها أخباراً لو قرأها الباحث بعقله لتبين كذبها وعرف أسباب وبواعث وضعها .

وانطلت تفاصيل هذه الشائعات على عقول السذج والبسطاء من أبناء الطائفتين : المسيحية والشيعية . .

ومن غير تروٍ احتكم جهال الطرفين إلى السلاح وظهرت على مسرح عامل فرق تجوب البلاد . . تقطع الطرق . . تغير على القرى تسرق وتنهب . . وتحقق بذلك حلم أصحاب الفتنة وانتصر الجهل على العقل ولم يكن ذلك لأول مرة في التاريخ . . وعاشت المنطقة ذعراً وخوفاً . . بعد أن دام أمنها وسلامها طويلاً .

وعلى سبيل المثال لا الحصر أورد بعض ما نشر على صفحات الصحف والمجلات من هذه الإشاعات دون أن أسمح لنفسي بالتدخل إن بإبداء رأي أو شرح أو توضيح . . مفسحاً في المجال أمام القارىء الحبيب ليكون هو بنفسه ولنفسه صورة عن الأثر الذي يمكن أن تخلقه مثل هذه الإشاعات في نفوس الأهلين البسطاء .

١ ـ « أظهر لنا كامل بك (يعني كامل بك الأسعد الأول) حذره

وخوفه من تفاقم الإشاعات وفلتات اللسان في هذا الجو الموبوء المتلىء بالإشاعات التي يعمل لها مريدو الفتنة إغراق الأمة بها ليتسنى لهم إرسال القوة وإنزال الضربة القاضية .

فقد قتل رجل مسلم في وادي الدب قرب قرية ياطر (أظنه قتيل عين بوكسية فوادي المغاور تنتهي بوادي الدب) . . في شعب بلاد بشارة . ثم اشيع عن هتك امرأة مسلمة من قرية حانين بائعة لبن . . تصدى لها في قرية عين إبل بعض أوباش القرية المغرورين بالفرنسيين فجردوها من أثوابها بالقوة وأمروها أن تمشي أمامهم هكذا ذاهبة جائية ثمّ تداولوها بالفاحشة علناً »[1] .

فإذا أدرك القارىء أن بلدة حانين هي قرية شيعية مجاورة لبلدة عين إبل المسيحية . وإن كلتيهما تابعتان لقضاء بنت جبيل . إذا عرف القارىء ذلك أدرك مدى خطورة انتشار هذه الإشاعات ومدى رجع ذلك الانتشار على سير العلاقات القائمة بين أبناء القريتين .

٢ ـ « بلغنا أن العصابات رجعت إلى عملها في منطقة صور ومرجعيون وقيل إنهم طوقوا قرية الطيري (وهي قرية شيعية في منطقة بنت جبيل) فقتلوا بعض الرجال وكلهم مسلمون شيعيون بحجة أنهم لم يثوروا معهم »[2] .

٣ ـ « عندما ظهرت أساليب الضغط والإكراه قابلها تصاعد في هجمات الثوار على الفرنسيين والقرى المسيحية المؤيدة لهم فهوجمت جديدة مرجعيون ودير ميماس والخربة والقليعة »

(مرجعيون مشتركة ، دير ميماس والخربة والقليعة قرى مسيحية وكلها تابعة لقضاء مرجعيون)[3] .

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٣ ص ٩٩٢ .
(٢) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٤ جزء ٢ ص ٣٥٣ .
(٣) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣جزء ٣ ص ٨٥٦ .

٤ ـ « نضم صوتنا الضعيف إلى زفرات البائسين وأنين الجرحى بل إلى صوت دماء أخوتنا النصارى في جهات مرجعيون وعكار ونواحي صور وبلاد بشارة .

وكنا نظن بدخول فرنسا هذه البلاد سنستمتع بالأمان الوافي والسلام التام . . فإلى من يلتجىء المسيحي اللهيف إلا إلى محاميته الطبيعية وأمه الثانية فرنسا المحبوبة »[1] .

٥ ـ « دخل قرية بلاط (قضاء مرجعيون) ثمانون جندياً عربياً بقيادة عارف بك الحسن فذهب منهم أربعون إلى الجسر ليهدموه . . ولما بلغوا الجسر كمن منهم ثلاثة وتقدم العشرة الباقون « . . . . . لخيمة الخفراء المضروبة على الجسر مما يلي الغرب . فأخذ أحدهم الخفير الواقف على باب الخيمة وكمه . ودخل اثنان إلى الخيمة وفيها أربعة قاعدون وخمسة نائمين » فخرج القاعدون واعتركوا مع بقية العشرة وتقدم الداخلان فذبحا النائمين . . وأحس بالعراك العسكر المرابط قبالة الجسر في محلة الشونة فألقى النار على الخيمة .

وبعد حادثة الجسر أرسل الفرنسيون قوة أحاطت ببلدة بلاط فلم يعثروا على أحد سوى رجلين أخذهما البَرْدُ فجلسا يستدفئآن فأخذوهما وكان أحدهما جركسي والآخر عربي من شمالي سوريا » .

واظن أن مناقشة هذا الخبر ستكون سهلة جداً على القارىء المبتدىء . . فهي واضحة المتناقضات بيّنة القصد والغاية .

---

(١) مجلة المشرق : مجلد ١٨ عدد ١٠ سنة ١٩٢٠ ص ٤٧٧ .

(٢) مجلة المشرق : مجلد ١٨ عدد ١٠ سنة ١٩٢٠ ص ٤٧٧ .

ومع كل هذه الإشاعات . . فقد شهدت البلاد أعمال فوضى وأغرقت في بحر من الدماء . . وقد صور الشيخ أحمد رضا ما آلت إليه الأوضاع في ذلك الحين في مذكراته حيث قال :

« أعمال الفوضى ضاربة أطنابها فيه (الكلام عن جبل عامل) . . رجال الحكومة يسلبون وينهبون باسم جمع الغرامة من الشيعة : عصابات من الثائرين تنهب المسيحيين وعصابات مسيحية بتحريض رجال الأمن ومعاضدة القومندان شاربنتييه تنهب المسلمين الشيعة وكلتا الطائفتين الآمنتين المطمئنتين نهب مقسم غير آمنين على أنفسهم ولا على أموالهم والعساكر الفرنسية تجوس خلال الديار. الطرق مقطوعة والفساد عام ومهاجرو مرجعيون من الجديدة وما حولها من القرى المسيحية ملأوا النبطية وصيدا مذعورين . ومهاجرو جبل عامل في قرى فلسطين مشتتون مذعورون »[1] .

وبعدها جرت محاولة إغتيال المفوض السامي الفرنسي الجنرال غورو في القنيطرة .

« وعلى أثر هذه الأحداث المؤلمة تألف وفد من أعيان الشيعة ضم كلاً من الشيخ أحمد رضا والحاج إسماعيل الخليل والسيد عبد الحسين محمود الأمين . . وسعوا مجتمعين فقابلوا بعض الزعماء المسيحيين فاجتمعوا بالسادة : بطرس كرم ، رشيد نخلة ، اسبر بك شقير ، داود بك نحول ، نسيب بك صبرا ، ورئيس تحرير جريدة لسان الحال طانيوس عبده .

وأطلعوهم على حالة البلاد العامة عن كثب وشرحوا لهم ان الطائفتين الشيعية والمسيحية لا عداء بينهما وكان شاهدهم على

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٣ ص ٢٥٦ .

ذلك حسن معاملة أهل النبطية لمهاجري مرجعيون وما لاقاه هؤلاء من حفاوة وتكريم لدى إخوانهم الشيعة .

ثم كان تصريح البطريرك الحويك الذي نشرته جريدة لسان الحال : أنا ناطق بلسان اللبنانيين عن بكرة أبيهم أقول : إن اللبنانيين لأشد تشبثاً اليوم بالاستقلال منهم في أي وقتٍ مضى »[1] .

وعلى رغم كل الجهود التي بذلها أعيان البلاد من الفريقين ورغم البيانات المشتركة التي أصدروها (مقيمين ومغتربين) . . وعلى رغم كل المساعي الخيرة التي بذلوها ، فقد انتصرت حرب الشائعات والدسائس التي لم تكن تبغي الإبقاء على ذلك الوفاق الذي كان قائماً بين أبناء الطائفتين وقد دام طويلاً .

وقد أدت تلك الإشاعات إلى الإلقاء بكل الآمنين ومن الفريقين في أتون نار إطعاماً لثورة وتحقيقاً لأمنية ووسيلة لترسيخ قدم الأجانب فوق أرض الوطن بحجة حماية المسيحيين حيناً والأقليات أحياناً .

وهكذا كان سلوك المستعمر في كل بلد يريد إستعماره وسلبه استقلاله .

ملحوظة :

وليس غريباً أن تكثر الإشاعات في وقتٍ خيم فيه الجهل ما دمنا نحن اليوم وقد أصبحنا بلد اشعاع ونور نتعرض يومياً لمئآت الإشاعات المغرضة . وقد أحكم تأليفها وأتقن إخراجها . . وأخذ بها الكثيرون .

موقف صادق من هذه الإشاعات :

لم يكن صادق حمزة الفاعور من أصحاب الفكر . . وبالتالي فهو لم يكن قادراً على قراءة النبأ المنشور أو تحليل الخبر المتداول كما أنه لم يكن يستطيع أن

---

(١) لسان الحال عدد ٨٤٩٤ تاريخ ١٠ كانون أول ١٩٢١ .

يميز بين إشاعة مدسوسة وحقيقة .

إنه من الناس البسطاء الذين قضوا طفولتهم في قرية صغيرة شبه معزولة . . ففي صباه رعى الماشية وعندما أصبح فتى تحول إلى فرار فعاش في المغاور والكهوف بعيداً عن صخب الناس وضجيجهم .

إن إنساناً من هذا النوع لم يدخل مدرسة نظامية قط ولم تثقفه العِشرة الحسنة المثقفة . . يكون صيداً سهلاً لحرب الشائعات . ولذلك نجد أنه انطلت عليه الحكايا وصدقها . . وأنها أثرت في نفسه فتصرف على أساسها حيناً . . ومن هنا كانت هفواته التي من أجلها ـ كما أظن ـ وُصِمَتْ حركته بالطائفية واللصوصية وغير ذلك .

ولكن المعطيات التي هي بين يديَّ تشير بوضوح إلى أن صادق لم يكن ـ وخاصة بعد أن دخلت الدعوة العربية أرض عامل وبعد أن التحق بها صادق ـ عند ذلك لم يكن صادق رجلاً طائفياً أبداً (يؤكد ذلك رده على المجتمعين في مؤتمر الحجير . . وهو رد بيّن وواضح . . بأنه غير طائفي . . وأن الناس بنظره : عربي أو فرنسي) :

. . وأنه كان ذا حس عربي كسائر أبناء جبل عامل الذين كرهوا الظلم وقاوموه. .وتعشقوا الإستقلال وعملوا من أجله وقدموا في سبيله التضحيات .

وعندما انقسم الناس في جبل عامل ـ بعد حرب الشائعات ـ بين فرنسي وعربي . . كان صادق مع الفريق الثاني . يؤكد هذه الرؤيا نماذج كثيرة من أعماله ومواقفه . . التي تشير بوضوح إلى أن حركته ليست طائفية وإنما كانت سياسية . . فقد أعلن أن فرقته ستحارب أنصار الفرنسيين ومهما كان انتماؤهم الطائفي .

في هذا الجو المضغوط عاطفياً . . كانت فرنسا ـ بمساعدة أنصارها تسعى جاهدة لتصفية الحركة الوطنية في جبل عامل . . وقد منعها من العمل المباشر ضد هذه الفئات شبح التنافس البريطاني ـ الفرنسي على اقتسام الحصص . . لذا فإن فرنسا أدركت أنها إن باشرت عمل التصفية بَعُدَ الناس عنها ومن ثم

هبوا لقتالها . . وهذا ما لم تكن تريدّه أنْ يحدث في ذلك الوقت سيما وأنه لم يُقَرّ بعد ·صك الانتداب .

ولمثل هذا أوكلت فرنسا هذا الأمر إلى أعوانها وموظفيها الذين نشطوا يحرضون ويدعمون أهالي القرى المسيحية في جنوبي عامل ليقفوا ضد أهالي القرى الشيعية .

وقد حقق هذا النشاط غايته فضاعف الشعور الطائفي في عقول الناس البسطاء وهم الأكثرية واستطاع أيضاً أن يبدل في مواقع بعض زعماء المناطق إذ تحول بعضهم منْ أنصار للملك فيصل إلى أعوان مخلصين للجنرال غورو . . . ومن ثم لفرنسا .

وعلى سبيل المثال أذكر أن الأمير محمود الفاعور أمير عرب الفضل وسيد منطقة الجولان في ذلك الوقت . . والذي كان يزعم أن نسبه يرقى إلى نسب الأمير فيصل وأنه من أجل هذا النسب عمل زمناً تحت راية الأمير . . إن هذا الإنسان ومع كل هذه المعطيات يتحول بين ليلة وضحاها فيغدو نصير الجنرال غورو يعمل بإمرته وتحت إشرافه . يؤكد ذلك تلك الزيارة التي قام بها الجنرال لمنزل محمود الفاعور . .[1] .

درس وتحليل وتأمل :

من المعروف أن فرنسا كانت ولا تزال تقر مبادىء الحرية والعدالة والمساواة وازاء هذه المعطيات . . وحيال هذا الواقع الذي تتحدث عنه الكتب يجد الباحث نفسه في حيرة و ارتباك ولهذا فهو يتساءل :

ما الذي يجبر فرنسا ـ وهي تؤمن وتنادي بهذه المبادىء الإنسانية الثلاثة ـ أنْ تتخذ لنفسها في عامل موقفاً يتعارض مع منطوق هذه المبادىء ؟ .

وبعد الإطلاع على معطيات الأمور لتلك الفترة وجدت أن كل الإتفاقات المبرمة بين بريطانيا وفرنسا من جهة وبين بريطانيا والشريف الحسين بن علي ملك الحجاز من جهة ثانية تنقصها الصراحة والوضوح ومن ثم يلفها

(١) سلام الراسي : لئلا نضيع ، مؤسسة نوفل بيروت ص ٤٩٤ بتصرف .

* الغموض والكذب وعدم الصراحة .

ووجدت أن الدولتين : فرنسا وبريطانيا قد اتفقتا على مبدأ الإنتداب وعلى مبدأ توزيع الحصص . . . إلا أنهما كانتا مختلفتين أبداً حول تعيين مقدار كل حصة . . سيما في منطقة جبل عامل التي كانت حتى ذلك الوقت منطقة تابعة لدولة دمشق .

وليس من باب الصدف أن يتمثل هذا النشاط في إعداد الفرق المسلحة والإشراف على تدريب عناصرها ودعمهم إن عن طريق تقديم المساعدات العسكرية أو عن طريق الحماية .

هذا الواقع يؤكد وجود تباين في مصالح كل من الدول التي كانت تعمل على الساحة العربية وبنشاط . . .

لذلك لا بد لي من إلقاء نظرة ـ وإن كانت سريعة ـ على مصالح كل دولة على حدة . .

أ ـ المصالح الفرنسية :

كانت فرنسا تشدد على تطبيق الإتفاقات المعقودة بينها وبين بريطانيا وخاصة اتفاقية سايكس ـ بيكو .

وقد لاحظت فرنسا بعد أن وضعت الحرب أوزارها تباطؤ بريطانيا في سحب جيوشها من لبنان وسوريا ـ وهي مناطق فرنسية حددتها الإتفاقية ـ كما أنها رأت أن بريطانيا كانت تسهل وتدعم عمل الفرق المسلحة العربية التي كانت تعمل ضد المصالح الفرنسية . وقد بلغت مساعدات بريطانيا لهذه الفرق حد السماح بإيصال الأسلحة والذخائر والمدربين إلى تلك الفرق كما أنها سهلت لهم عملية الفرار من وجه الحملات الفرنسية المطاردة ودخول أرض الحولة وفي كل وقت . . كما أنها أمنت لهم في كل تلك المناطق كل عون مادي أو معنوي . . وقد شجعت السكان على القيام بذلك .

يدعم هذا الرأي ويؤكده استمرار عمل تلك الفرق عبر أراضي الحولة

زمناً طويلاً ، إذ لم تذكر كتب التاريخ أن صداماً واحداً كان بين رجال هذه الفرق وبين دَوْرِيّة حدودية واحدة بْريطانية التبعية والانتماء .

ومن ثم فإنه من غير المعقول أن تستطيع هذه الفرق أن تعمل وأن تستمر من غير تلقي دعم وتأييد من البريطانيين .

بعد هذا فإن فرنسا كان تخشى أن تعمد بريطانيا ـ وهي الأقوى ـ إلى إجراء تعديلات على معطيات اتفاقيات ما قبل الحرب فتُحرم هي من كامل الحصص المتفق عليها . ولذا فهي تلح وتستعجل صدور قرار عصبة الأمم بتكريس الإنتداب .

ومن أجل تحقيق هذا الحلم فإن فرنسا ساعدت هي بدورها على إنتشار الفوضى والرعب داخل القرى إذ زرعت بذور الفتنة بين أبناء الطوائف وحرضتهم على أعمال السلب والقتل والإعتداء لتظهر للعالم المنتصر في الحرب أن الشعب في المنطقة العربية لا يعرف النظام وقد عمت الفوضى الطائفية أنحاء البلاد فروعت الآمنين وأدت إلى سفك دماء الأبرياء .

ب ـ المصالح البريطانية :

يبدو من سير الأحداث التاريخية أن بريطانيا أرادت بعد الحرب توسيع رقعة حصتها المقررة في الإتفاقيات على حساب الحصة الفرنسية . يحدوها إلى ذلك طمع وجشع تمثل ذلك كله في قولها لفرنسا : « أطلقي يدي في الموصل أطلق يدكِ في سورية »[1] .

أما في منطقة جبل عامل حيث تقوم الحدود اللبنانية متداخلة مع فلسطين (الجليل ـ الحولة) وسوريا (الجولان وجبل الشيخ) ، فقد شاءت بريطانيا أن تقتطع لها جزءاً من أراضي عامل فتضمه إلى فلسطين منطقة نفوذها (معاهدة سايكس ـ بيكو) وذلك قبل صدور قرار الإنتداب .

---

(١) مسعود ضاهر : تاريخ لبنان الاجتماعي ، دار الفارابي ، بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ ص ٣٠ .

من أجل ذلك عملت بريطانيا على تنشيط الحركات العسكرية العربية المعادية لفرنسا في هذه المنطقة فسهلت أمام رجال تلك الفرق طرق الفرار كلما لاحقتهم الجيوش الفرنسية مؤمنة لهم الحماية والدعم فغدوا يغيرون على القرى العاملية بسهولة ويعودون إلى الحولة بحرية وأمان . وفوق ذلك فقد كانت بريطانيا تحلم بالسيطرة أيضاً على منطقة حلب . . (شمالي سوريا) .

٣ ـ المصالح العربية :

أما العرب فقد كانوا طلاب استقلال . ويوم اشتركوا في الحرب ضد تركيا كانوا يؤمنون أنهم لا يريدون استبدال مستعمر ضعيف بآخر قوي . .

ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس كانت مراسلات : الحسين ـ مكماهون . . وقد وضح من بين سطور تلك المراسلات وإيضاحاتها أنها تعلن خلاف ما تضمر فداخل نفوس العرب عامة شك في صدق نوايا المحاورين وشك في الوفاء بالوعود الشفوية وحتى الخطية منها وإن تكررت .

لذلك عقد العرب العزم على الخلاص من الحليفين : فرنسا وبريطانيا معاً . . ومن أجل ذلك بدأوا يعدون أنفسهم وشعوبهم لحرب منتظرة وإن كانت غير متكافئة . . ومن أجل ذلك تكونت الفرق المسلحة في أنحاء البلاد اتي شهدت على إتساعها وعلى مدى ستة عشر عاماً حركات ثورية عملت في سبيل تحقيق الإستقلال التام .

وقد استطاع هذا الشعور أن ينتصر في آخر الأمر وإن دفع الشعب العربي ـ في كل أقطار الوطن ـ ثمنه دماً قانياً .

الفرق المسلحة

أ ـ بواعثها :

يوم دخل الجيش الفرنسي لبنان عام ١٩١٨ ميلادية تقاسم العامليين شعور متباين أدى إلى جعلهم فريقين :

الأول : أيد مسروراً دخول الفرنسيين واعتبرهم المخلص له من ظلم الأتراك .

الثاني : عارض دخول الجيش الفرنسي واعتبره جيشاً غازياً محتلاً .

هذا التباين في المواقف كان يغذيه ويتجاذبه صراع سياسي نشط كثيراً بعد أن وضعت الحرب أوزارها وأرادت كل من فرنسا وبريطانيا والدولة العربية في دمشق كسب ود السكان في عامل بغية ضمهم إلى حصتها مستخدمة في سبيل ذلك وسائل الترغيب حيناً والترهيب أحياناً .

ولما كانت هذه الدول الثلاث تجتمع ضمن حلف عسكري دولي واحد وإن تباينت أهدافها . . فقد نشطت كل واحدة على حدة تعمل منفردة وبالسر على تدريب المواطنين وإعدادهم عسكرياً ليكونوا أعواناً لها يوم تضطر إلى خوض صدام مسلح .

ولهذا فقد دخل ـ وقبل نشوب الحرب ـ إلى جبل عامل ضباط عرب من الجيش السوري عملوا على إعداد فرق مسلحة هدفها مناهضة الوجود

الفرنسي . . وقد عهدت الدولة السورية إلى الضابط علي خلقي[1] القيام بهذا العمل . فوصل هذا إلى بنت جبيل وأسس جمعية الإتحاد العربي واتصل بأهالي القرى يدعوهم للإنضمام إليه .

وقد ذكر الجنرال غورو ذلك الحدث مشيراً إلى السياسة التي كانت تنتهجها حكومة دمشق ضد الفرنسيين بقوله :

« إن حكومة دمشق هي التي وضعت مبدأ تنظيم العصابات واستخدامها ضد جنود الفرنسيين » . . ثم أورد الجنرال ما كان يعلنه قائد الفرقة الثالثة في حلب يوم ١٣ نيسان فقال : « لما كنا لا نستطيع أن نعلن الحرب رسمياً على الفرنسيين . . يجب أن نملأ البلاد بالعصابات التي تجهز عليهم تدريجياً وسيقود ضباطنا هذه العصابات . . . وإذا استشهد أحدهم فستعيل الحكومة عائلته »[2] .

وقد أوردت جريدة البشير نبأ دخول القوات العربية إلى جنوبي لبنان فقالت :

« . . ومما لا شك فيه أن القوات العربية من جيش فيصل دخلت إلى الجنوب وأخذت تعمل ضد الفرنسيين لكن لم يكن ذلك بأوامر من فيصل وإنما كان بإيحاء منه . إذ يقول جورج انطونيوس : .

« رفض فيصل إعلان الحرب على الفرنسيين إلا أنه تغاضى عن الهجمات التي قادها بعض الضباط الشباب من العرب على المواقع الفرنسية قرب الحدود اللبنانية وربما أوصى بها »[3] .

---

(١) ملحق رقم ٧ .

(٢) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط ، دار النهار للنشر ، بيروت طبعة ثانية ص ١٧٠ .

(٣) جريدة البشير عدد ١٨ نيسان أيار ١٩١٩ ص ٤ .

ولم يكن عمل تربية الفرق العسكرية وإعدادها وقفاً على الدولة العربية في دمشق وحدها . وإنما كان ذلك قاسماً مشتركاً لم تهمله فرنسا أيضاً . فقد ذكر محمد جابر آل صفا في كتابه « تاريخ جبل عامل » وهو يتحدث عن الفرنسيين :

« . . . فسلحوا أولئك المسيحيين الوادعين بالبنادق وأغروهم بالتحرش بجيرانهم ومواطنيهم واستفزازهم للفتك بهم . وسلكت تلك الخدع على عقول السذج والبسطاء من الشبان المتحمسين المسيحيين فأذكوا نار التعصب وأخذوا بالإعتداء على أبناء السبيل والفقراء من الشيعيين مما عكر صَفْوَ الولاء بين الطائفتين وأسف لها العقلاء »[1] .

ب ـ واقعها :

واقع البلاد في ذلك الحين . . والظروف الدولية والسياسية كلها مجتمعة . . كانت عاملاً جوهرياً وأساسياً لظهور فرق مسلحة تعيث في البلاد فساداً . . تروع الآمنين . . وتتملك ما تطاله الأيدي ولا تتورع عن فعل ما يجوز وما لا يجوز في سبيل إرضاء الشهوات والأطماع الشخصية .

مع العلم أنه كان من بين تلك الفرق من حمى المظلومين المقهورين ودافع عنهم . . إذ عمل جاهداً لاسترجاع ما تم سلبه عن طريق المفاوضات أو بالقوة .

وأدعت كل فرقة لنفسها هدفاً . . وزعمت أنها إنما تعمل في سبيل تحقيق غاية سامية .

وحيال هذا الواقع انبرت الصحف اليومية تتصدى لهذه العصابة أو تلك فتنشر الأخبار مجسمة حيناً أو قد تكتم منها ما لا يتناسب مع غايتها . . فكانت هذه الصحف باعثة فزع ورعب حيناً أو داعية إلفة ومحبة وسلام أحياناً . . في

---

(١) محمد جابر آل صفا العاملي : تاريخ جبل عامل ، دار متن اللغة ، بيروت ص٢٢٧ .

حين أن ثالثة منها كانت تدعي لنفسها أنها أحرزت قصب السبق إذ حققت ما لم تستطع تحقيقه غيرها من الصحف.. فتزعم مثلاً أنها تلقت وللتو من مراسلها في الناحية الفلانية كل تفاصيل حادث انشأه الخيال وتبنته ادارة الصحيفة وخصصت له صدر صفحتها الأولى .

وكان هذا السبق المزعوم مثار فزع وضغائن وزرع حقد مقيت في نفوس أبناء الوطن الواحد بل أبناء القرية الواحدة .

على أنه من الواجب عليَّ أن أُقِرَ أنه كان من بين تلك الصحف من أخذتِ إدارتها على نفسها تبيان الحقيقة من جهة ودعوة المواطنين إلى المحبة والإلفة والتآخي من جهة ثانية .

ولكي أتمكن من توضيح الصورة . . أرى أنه لا بد لي من العودة إلى قراءة تلك الصحف ومن ثم لأنقل ما نشرته على صفحاتها حرفياً فأكون بذلك قد وضعت القارىء أمام شريط من الصور والمعلومات عل ذلك يساعده على وضوح الرؤيا عنده .

١ ـ الصورة الأولى :

« تفاقم شر العصابات في هذه الأيام . فبدل عصابة واحدة كانت تعيث في البلاد فساداً بزعامة المدعو صادق أضحينا اليوم تحت حكم عصابات : فواحدة تحت إمرة صادق المذكور وثانية تحت زعامة أبو زلكي وثالثة تحت رئاسة محمود أحمد بزي من القنيطرة . . وشيعي من طير زبنا وكل من تسول له نفسه الإستغناء العاجل القريب »[1] .

ملحوظة للإيضاح :

أ ـ أن أبو زلكي المذكور هو أبو زكلي . . وهو جندي ألباني التحق بعد أن قدم جندياً تركياً بفرقة صادق حمزة واستقر في قرى جبل عامل . . وتزوج من

---

(١) جريدة البشير ٣ نيسان ، ص ٣ .

إحدى النساء العامليات وخلف ولداً ذكراً لا يزال على قيد الحياة يعمل اسمه موسى وقد قابلته مراراً وسمعت منه . . .

ب ـ محمود أحمد بزي . . . من آل البزي المعروفين في مناطق الجنوب وهو من مواليد بنت جبيل وليس من القنيطرة كما ذكرت الصحيفة .

وكان محمود هذا صديقاً وحليفاً لصادق حمزة الفاعور وقد عمل تحت إمرته زمناً . . ولكن حدث بعد مؤتمر الحجير حيث تم تمثيل القوى الثلاثة كما يلي : السلطة الدينية تمثلت بشخص السيد عبد الحسين شرف الدين ، والسلطة السياسية تمثلت بشخص كامل بك الأسعد . . والسلطة العسكرية تمثلت بشخص صادق حمزة الفاعور .

فاعتبر محمود أحمد بزي دعوة صادق للإجتماع انتقاصاً من منزلته . . فغضب وقرر الإنفصال عن صادق . . وإثباتاً لمقدرته . . جمع أعوانه ومعاضديه عند بركة كونين ـ قضاء بنت جبيل ـ وقاد هذه الجموع . . وقد انصاعت لدعوات التضليل فهاجم بهم بلدة عين إبل المسيحية . . وكانت تلك الحادثة وصمة عار لا يزال يخجل منها الضمير الحي » .

٢ ـ الصورة الثانية :

« أما في جنوبي عامل فسيطر الثوار سيطرة تامة ولم يعد للسلطة أدنى أثر حتى أن مأموري المالية والدرك لا يقدرون على التجول فيها وهي أشبه بحالة العصيان التام »[١] .

٣ ـ الصورة الثالثة :

« دخلت بين عصابات الثوار جماعة خرجت عن الجادة ودخلت في الفوضى وأصبحت تلتهم الأخضر واليابس ولا تتورع عن فعل ما لا يجوز في سبيل الأطماع الشخصية . وأخشى أن يؤدي ذلك إلى خراب البلاد وخيبة الآمال »[٢] .

---

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٨ ص ٨٥٦ .

(٢) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٨ ص ٨٥٧ .

٤ ـ الصورة الرابعة :

« . . . وقد ترأس هذه الفرق عدد من الزعماء . . وفي كل قرية ترأسها أكثرهم شجاعة وإقداماً . . لكن أشهر هذه الفرق كانت فرقة صادق حمزة وهو من قرية دبعال قرب جويا . . وضمت فرقته بضعة عشر رجلاً مسلحين بالبنادق والمسدسات والقنابل اليدوية .

عين إبل (بلاد بشارة) لمراسلنا الخاص في ٣ كانون أول ١٩١٩ . ثم تضيف الجريدة . . وعلى نفس الصفحة فتقول :

« أصبح الأمن مفقوداً في نواحينا . . فإن رجلاً اسمه صادق من دبعال ألّف عصابة من الأشقياء عددها نحو عشرين تطوف القرى للسلب والنهب . . وقد عمل هؤلاء بشكلٍ خاص في قضاء صور »[1] .

وبعد ، فإنني اكتفيت بهذا القدر من أخبار الصحف إلا أنني أرى أن هذا يكفي لتوضيح الصورة حيث تبدو جلية . وبإمكان من أحب أن يرى الصورة أكثر وضوحاً أو يعود إلى المراجع التي ذكرت . . أو إلى مراجع أخرى . . فإن ذلك إليه . . وهي متوفرة أبداً .

ج ـ أهمها (أهم هذه الفرق) :

بات أمر وجود هذه الفرق (العصابات) قائماً وقد ذاعت أخبارها فأصبح أمر التعرف عليها ضرورياً .

وبعد جولة طويلة ومتمهلة عبر ما حملته الكتب والمذكرات والصحف استطعت أن أتعرف على فرق أورد على سبيل المثال اسماءها وأسماء قادتها . . ومن دون أن ألاحق أخبارها .

---

(١) جريدة البشير عدد ١٨ تشرين ١٩١٩ ص ٤ .

ذلك لأنني لست بصدد ذلك في هذا البحث عسى أن يساعد عملي هذا باحثاً على تكوين فكرة ومن ثم يكون مرشده للوقوف على جانب هام من جوانب الحياة الأمنية في جبل عامل في مطلع العشرينات من هذا القرن .

ولا بد من الإشارة إلى أنه وردت أثناء هذا البحث وتحت عنوان الفرق المسلحة أسماء فرق هي :

فرقة صادق حمزة ، فرقة أبو زلكي ، فرقة محمود أحمد بزي ، فرقة رشيد الغصيني ، فرقة شبلي من طيرزبنا .

بالإضافة إلى هذه الأسماء فإنني أورد النصوص التالية فهي تحمل أسماء فرق جديدة .

١ ـ فرقة عيد الحوراني :

« كانت تتألف عصابات مسيحية تحت رعاية حاكم صيدا المسيو شاربنتييه .. يقولون على رأسها المدعو عيد الحوراني من قرية الكفور ضاحية النبطية »[1] .

ثم كان النص التالي :

« تألفت عصابة ثالثة في وادي الكفور وما حواليه تقطع الطريق من خان محمد علي إلى قرب قرية حبوش ورأس هذه العصابة عيد الحوراني من قرية الكفور »[2] .

٢ ـ فرقة أدهم خنجر :

« تزعم أدهك بك خنجر الحركة الوطنية المسلحة في جبل عامل ١٩٢٠ والتي عُرِفَتْ حيناً باسم حركة أدهم وصادق بالنسبة إلى صادق حمزة الذي قاد وإياه عدة معارك ضد القوات الفرنسية منها معركة المصيلح بين صيدا ـ والنبطية . ومعركة جسر الخردلي

---

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٨ ص ٩٩١ ـ ٩٩٢ .

(٢) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٧ ص ١٠٣٠ .

ومعركة جبل رياق قرب المطلة في منطقة مرجعيون »[1] .

وثم :

« بلغنا أنه تألفت عصابة في جهات قرية المروانية من أدهم بك خنجر ومحمد علي حدرج الهونيني وحيدر قاسم الدويري .

وأنها بدأت أعمالها بسلب دركيين من درك الحكومة فطاردتهما فرق من المتطوعة »[2] .

ملاحظة : ينتمي أدهم خنجر إلى عائلة الدرويش المعروفة في تاريخ الجنوب وكان جده أحمد بك الدرويش من أصحاب المروءة فحمى المسيحيين خلال عام ١٨٦٠ في داره التي ما تزال اطلالها باقية حتى الآن في قرية زفتا .

وظل مسيحيو القرى المجاورة يجلّون هذه الدار ويحفظون لها هذا الجميل ولا يزالون .

٣ ـ فرقة رشيد عطية :

« كثر تعدي أشقياء المتيحية على الطريق الموصل من صيدا إلى النبطية والتعدي خاص بالمسلمين .فاتخذ رشيد عطية (وهو رأس عصابة) منطقة تعديه من جسر الزهراني إلى خان محمد علي قرب من قرية زفتا . وتولت عصابة القليعة ودير ميماس قطع الطريق على جسر الخردلي بين النبطية ومرجعيون »[3] .

٤ ـ فرقة عرب الحويطات : « عودة أبي تاية » :

« أشيع اليوم أن عرب الحويطات ـ عرب عودة أبي تاية قدم الجمع الغفير منها إلى ديار محمود الفاعور وإن العسكر الشريفي

---

(١) سلام الراسي : لئلا نضيع ، مؤسسة نوفل بيروت جزء ١ لم تذكر الطبعة ، ص ٩٤ .

(٢) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٨ ص ٨٥٨ .

(٣) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٥ جزء ٧ ص ١٠٢٩ .

مرابط في حاصبيا وكوكبا »[1] .

٥ ـ فرقة عرب الهيب : .

« ولا يخفى على أحد من سكان هذه الجهات أن هؤلاء الأشقياء هم في غالب الأوقات من عرب الهيب الذين لا يملكون شيئاً من المواشي ولا يفلحون الأرض بل يعيشون من السلب والنهب وهذا أمر تعودوه في الدولة البائدة »[2] .

هذا ما استطعت الوصول إليه أثناء بحثي وتجوالي فإن فاتني أسماء بعض الفرق فعذري أنني حاولت وجهدت مع العلم أن هذه الفرق ليست عنوان بحثي وإن كانت تمت إليه بصلة . . .

وإنني أعتقد أن ما ذكرت من أسماء هذه الفرق يعطي القارىء صورة واضحة عما أنا بصدده .

---

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٣ ص ٢٥٦ .
(٢) جريدة البشير عدد ١١ أيلول ١٩١٩ ص ٤ .

تقدير عمل هذه الفرق

تفاقم الأمر وعظم تذمر الناس وأصاب أذى الثوار عساكر الفرنسيين وهم ينقلون الذخائر والمؤن من بيروت وصيدا إلى مواقع القوات المرابطة في النبطية ومرجعيون وحاصبيا .

وقد جرت بين الفريقين معارك عديدة كان بعضها بالقرب من مزرعة المصيلح بين صيدا والنبطية . . وأغار الثوار على شرذمة من الجند كانت تحرس جسر الخردلي القائم فوق مجرى نهر الليطاني قبالة قلعة الشقيف أرنون لناحية الشرق . على طريق النبطية مرجعيون . . واستطاع هؤلاء الثوار أن يلحقوا بأفراد الحامية إصابات عديدة ومن ثم حاولوا نسف الجسر كما أن فرقاً أخرى منهم تغلبوا على رجال الجيش في جبل رياق قرب رياق . . وهاجم آخرون منهم رجال العسكر في ثكنة مرجعيون ففر سكان البلدة المسيحيون إلى النبطية خوفاً . . وأقاموا فيها مدة شهر على الرحب والسعة ثم عادوا بعدها إلى ديارهم شاكرين معاملة الأهلين الشيعة وحسن ضيافتهم لهم طيلة تلك المدة التي أقاموا خلالها في مدينة النبطية .

« وبصرف النظر عن طبيعة التنظيم والإنضباط فإن ما يمكن أن يُقال هو أن جبل عامل عرف انتفاضة ضد الإحتلال الفرنسي خيضت طبقاً لمدى الفهم والوعي السياسي والتنظيمي . ورغم أن هذه الإنتفاضة عرفت كثيراً من التجاوزات أو أضفت

عليها طابع العمل اللصوصي الطائفي إلا أن هذه الأعمال كانت تفهم على أنها موجهة ضد من يشكل السلطة المحلية للإستعمار الفرنسي »[1] .

ويهمني قبل أن أختم هذا الفصل أن أشير إلى دور رجال الإقطاع في جبل عامل . . فقد شعر هؤلاء باهتزاز مركزهم السياسي عندما اشتد ساعد الحركة الوطنية فوافقوا وبسرعة مؤتمر الحجير وأوفدوا للملك فيصل مهنئين مؤيدين . . وهم . . عندما بدأت الحملة الفرنسية على عامل ـ حملة نيجر ـ تشتد وتقسو تقمصوا دوراً جديداً فأنكروا تعهداتهم ووطدوا علاقاتهم مع فرنسا وكأن شيئاً لم يكن بالنسبة إليهم .

وأخيراً لا بد لي من القول : إنْ كان هذا العمل المسلح لم يعطِ ثماره المرجوة في ذلك الوقت فذلك لأنه كان يفتقد أساساً إلى التنظيم . . فلقد نشأ كما انتهى ممزقاً . كما أنه افتقد القيادة السياسية الواعية التي لو وجدت لكانت قادرة على ما أظن أن تتجنب السقوط في أعمال السلب والنهب والإعتداء على السكان الآمنين .

وربما استطاعت أن تحولّ هذه الفرق مع الوعي فتغدو مقاومة منظمة .

موقع صادق بين هذه الفرق :

خرج صادق حمزة الفاعور فراراً عام ١٩١٤ واستطاع خلال السنوات الأربع التالية وهي سنوات الحرب أن يجمع حوله عدداً من الأنصار اختلفت الروايات حول تقديره . واستطاع صادق بهؤلاء الأنصار أن يشغل المناطق التي عمل فيها طوال تلك الفترة؛ فروع ابناءها وسد عليهم طرقهم واغتصب أموالهم وفرض على الآمنين منهم جزية . كان ذلك كله إبان العهد التركي .

وعندما دخل الجيش الفرنسي لبنان تابع صادق أعماله العسكرية فقد آنس من نفسه القوة وإن تغيرت أساليب عمله واختلفت مناطق اعتداءاته .

---

(١) عدنان أيوب : مقال نشر في مجلة الحرية عدد ٨٤٦ ص ٣٦ .

وأعتقد أن مردّ هذا التغيير يعود إلى أن عمل صادق حمزة أصبح مقيداً بما يحمله إليه رسل الملك فيصل الذين كانوا يفدون إلى جبل عامل يحرضون الناس على الثورة ويدربون رجالهم على القتال .

ومن الطبيعي أن يتصل هؤلاء الضباط الرسل بمثل صادق وقد ذاع صيته .

ومع حلول عام ١٩٢٠ كثر عدد الفرق المسلحة في جبل عامل واتخذت كل فرقة منطقة جعلتها مسرح أعمالها الخاصة ومقر رجالها . إلا أن المتتبع لنشاط هذه الفرق يسهل عليه تحديد موقع فرقة صادق منها ومن ثم يدرك أن فرقة صادق كانت أهم تلك الفرق وأقواها وأشدها بأساً .

يؤكد هذا الرأي ويدعمه أن الذين اشتركوا في عقد مؤتمر الحجير للنظر والتداول في حالة البلاد الأمنية ومن ثم وضع الحلول الملائمة للخلاص من هذه الفوضى كانوا يمثلون جميع الهيئات الإسلامية العاملية والعائلات الإقطاعية وأصحاب الفكر وتمثل كل فريق بمندوبين . . وأما الثوار فقد مثلهم جميعاً صادق حمزة الفاعور وحده .

ولا شك في أن استدعاء صادق وحده من العسكريين للمشاركة في هذا المؤتمر لدليل على المكانة التي كان يتمتع بها . . يدعم هذا الرأي ما أوردته جريدة البشير حيث قالت :

« . . لكن أشهر الفرق كانت فرقة صادق حمزة وهو من قرية دبعال قرب جويا »[1] .

وكذلك ورد في كتاب لئلا تضيع للأستاذ سليم الراسي ما نصه :

« تزعم أدهم خنجر الحركة الوطنية المسلحة في جبل عامل عام ١٩٢٠ والتي عُرفت حيناً باسم حركة أدهم وصادق بالنسبة إلى صادق حمزة »[2] .

---

(١) جريدة البشير : عدد ١٨ ت ١٩١٩ .

(٢) سلام الراسي : لئلا نضيع ، مؤسسة نوفل بيروت جزء ١ لم تذكر الطبعة ، ص ٩٤ .

ثم وجدت وأنا اطالع بحثاً للسيد عدنان أيوب نُشر على صفحات مجلة الحرية ما نصه :

«من الفرق المشهورة أيضاً فرقة أدهم خنجر وهو من الأسر المعروفة . . كذلك اشتهرت فرقة محمود أحمد بزي من بنت جبيل الذي كان ينسق مع صادق الحمزة . هذه الفرق هي أشهر ما عرفه جبل عامل وأهمها فرقة صادق حمزة » .

بعد هذا الفيض استطيع أن أضع فرقة صادق حمزة الفاعور في مركز الصدارة بالنسبة لفرق الجبهة الوطنية العاملية وهذا الموقع أكسب صادقاً منزلة هامة بين الثوار فنسقوا معه حيناً وانضموا إليه أحياناً تبعاً لظروفهم الخاصة ومدى الضغط العسكري الذي كانت توجهه الدولة الفرنسية على مناطق نفوذهم .

يساعدني على تحديد هذا الموقع إن قيادات الفرق العاملية استنجدت بصادق خلال فترات نضالها . . فنشط صادق وعمل مع فرقته يدافع عن رفيق دربه . . في حين أنه لم يستنجد قط بقوة أخرى للدفاع عن منطقة نفوذه .

مع العلم أن موقع عمل صادق حمزة شمل مساحة واسعة من الأرض شكلت القسم الجنوبي الغربي من جبل عامل حيث تتوزع آنياً منطقتا صور وبنت جبيل . . وأجزاء من منطقتي مرجعيون والنبطية .

إن هذه المساحة كانت ولفترة محرمة على رجال الدولة وقد حكمتها حالة أشبه بالعصيان التام .

وهكذا نرى أن صادق حمزة الفاعور قد تدرج في حياته العسكرية من جندي فار في فرقة وترقى حتى أصبح قائد فرقة . . ومن ثم أصبح أمير الجبل .

فاكسبته تجاربه الحياتية خبرة ومعارف وحددت مسلكه وأصلحت الكثير من أخطائه وساعدته على تحديد طريق جديدة رسمها لنفسه ولم يحد

عنها يوماً فأصبح ثائراً .

ماذا فعل صادق وقد أصبح ثائراً ؟ .

أين كان مسرح عمله . . وكيف كانت ممارساته . . .

الفصل السادس

صادق : قائد الفرقة

تمهيد
- معركة جسر القعقعية
الهجوم الأول على صور
للبحث
١ - صادق والفرنسيون : الهجوم الثاني على صور
ملحوظة
نماذج من أعمال صادق العسكرية
٢ - موقف أعيان البلاد والدولة الفرنسية من أعمال صادق
أ - موقف أعيان البلاد
ب - موقف الدول الفرنسية
١ - الصعيد الأول : عسكري بحت
٢ - الصعيد الثاني : عسكري - سياسي
ج - اجتماع هورا
د - اجتماع النبطية
د - تعليق حول وضع جويا السياسي . . . وهي نموذج لكل القرى العاملية
هـ - اجتماع صيدا
و - ضريبة صادق
ز - حملة نيجر وخروج صادق من لبنان

تمهيد

انتهت السنوات العجاف . . ووضعت الحرب أوزارها ، وجاء الفرنسيون منتدبين من قبل عصبة الأمم إلى لبنان . . وبدأوا عمليات استطلاع واسعة . . فرأوا أن صادق حمزة الفاعور وجماعته ومناصريه يشكلون العمود الفقري للحركة الثورية الوطنية في جبل عامل . ورأوا أنه لو وقفت تلك الجماعات إلى جانبهم لساعدهم ذلك كثيراً على تهدئة الأمور وتسييرها .

فإن تمّ لهم ذلك . . معناه أنهم تخلصوا من إستعمال العنف في بداية عهدهم . . ومن أجل ذلك فقد جرت بين الفرنسيين وبين صادق ـ بواسطة رسل ـ مفاوضات تخللتها عروض مغرية بالنسبة لصادق . . ولكن هذا رفض كل عرض وأصر على المقاومة مدعياً أنه كان يرى في الفرنسيين أعداء لقوميته . . ولعله في ذلك الوقت كان مرتبطاً مع الملك فيصل ـ ملك الشام ـ أو لعله كان لا يزال على إتصال وثيق مستمر مع الأمير عبدالله ـ أمير الأردن ـ شقيق الملك فيصل .

يدعم هذه التطلعات ـ بنظري ـ ما كان يتلقاه صادق من معونات مادية وعسكرية وبشرية تصل إليه عن طريق بانياس السورية . . ومما لا شك فيه أن صادق ـ بفضل هذه المعونات ـ استطاع أن يعيش وبأمان طوال الفترة السابقة وأنه بها استطاع أن يغير على القوات الفرنسية وأن ينكل بأعوانهم . . جرى كل ذلك قبل أن يستتب الأمر لفرنسا بإقرار مبدأ

الإنتداب . . وقبل أن يجبر صادق على مغادرة جبل عامل وبدون رجعة .

أما الفرنسيون وقد ساءهم تصرف السلطات العسكرية في دمشق كما أزعجتهم مواقف الموظفين والسياسيين فقد استطاع هؤلاء أن يخلقوا في جبل عامل جواً معادياً للفرنسيين وذلك بفضل مساعداتهم للثوار وتصرفاتهم المتواصلة .

ومن أجل ذلك فقد أقدم الفرنسيون على إتخاذ إجراءات فورية من شأنها تعزيز مركزهم العسكري وتثبيت أقدامهم فوق ربى جبل عامل .

فبعد أن رأوا أن لا فائدة من التفاوض مع صادق صمموا على القضاء عليه وطاردوه ، وجرت بينه وبينهم معارك عديدة شكلت قسماً هاماً من أعمال صادق حمزة في لبنان .

أولاً : أعمال صادق في لبنان :

يستطيع الباحث المراقب وهو يتابع أعمال صادق حمزة العسكرية في لبنان أن يلاحظ أن هذه الأعمال كانت تسير على خطين :

الأول : ضد القوات الفرنسية مباشرة وقد اتخذت هذه الأعمال صفة معارك .

الثاني : ضد العامليين الذين كانوا بنظر صادق أعوان الفرنسيين . وقد اتخذ هذا النوع من العمل صفة الإغارة والغزو فكان أشبه بقتال قروي قلما اصطدم بمقاومة عنيفة أعاقت سير الإغارة أو تنفيذها .

أ ـ القتال ضد الفرنسيين :

خاضت قوات صادق حمزة معارك ضارية ضد القوات الفرنسية على أرض عامل . . وكان أهمها :

١ ـ معركة جسر القعقعية .

في كانون الثاني عام ١٩٢٠ كان صادق حمزة ورفاقه يغسلون ثيابهم

ويغتسلون في مياه نهر الليطاني عند جسر القعقعية ـ وهو جسر يقوم فوق مجرى نهر الليطاني بين بلدتي : فرون ـ القعقعية قضاء النبطية ـ وقد عرفت القعقعية باسم قعقعية الجسر بالنسبة إليه .

وفي زحمة إنشغال صادق ورفاقه في عملهم قدمت نحوهم امرأة تجري مسرعة تسأل عن صادق وهي تلهث وكأنها قطعت مسافة بعيدة . . وكانت لا تعرفه شخصياً وإنما قد سمعت به .

جيىء بها إليه . . . فأخبرته أنها سمعت الناس في قريتها يتحدثون عن قوات فرنسية تعمل جادة لإحكام الطوق حول المكان . . وأكدت أنها رأت بعضهم يتوزعون وينتشرون فوق الرابية .

وتحرك صادق بسرعة كعادته بعد أن صاح برفاقه ان استعدوا . . وداخل نفوس البعض الخوف . . وهمّ آخرون بالهرب ذلك لأنهم أدركوا أنه لا بد وأن تكون الحملة المطاردة كثيرة العدد وأنها تملك من العتاد الحربي ما لا يملكون .

ولكن صادق لم يمهل المتقاعسين . . بل صرخ بصوته الجهوري منادياً : من يهرب أو يحاول ذلك طلب النجاة من الفرنسيين فإني قاتله لا محالة . . وهو يعلم انني إن وعدت وفيت .

وكان هؤلاء الجنود يعرفون مدى احترام صادق لكلمته . . ومن ثم فإنهم يدركون مهارته في التصويب . . لذلك امتثلوا لأمره وتوزعوا في كل ناحٍ متخذين لهم خلف الصخور مواقع قتالية .

وفجأة لمح صادق وهو يراقب مجموعة جنود فرنسيين يطلون من خلف أُكمة . فعاجل المتقدم منهم بطلقة أرداه قتيلاً . . ولعلع الرصاص من كل صوب .

ويبالغ الرواة إذ يقول بعضهم أن طلقة صادق أصابت فوهة مدفع رشاش كان يحمله ذلك الجندي .

كان لهذه الإصابة المباشرة وقع عظيم في نفوس الجنود الفرنسيين . ولعلهم كانوا في غالبيتهم متطوعين . . أو من أبناء الولايات . . ولعلهم سمعوا أخبار صادق . . فامتلأت قلوبهم رعباً وولوا الأدبار . . ولاحقهم صادق . . وفاز بعدد كبير من الأسلحة والعتاد مما خلفه الجنود الفارون .

وقد أوردت جريدة البشير نبأ هذه المعركة بالشكل التالي :

« ومما يذكر أن هذه العصابات كانت مسلحة بالبنادق الحربية والرشاشات وقد ألحقت بها (الفرقة الفرنسية) خسائر فادحة وضربتها ضربات موجعة . . ويسعنا أن نقول أن الفرقة الفرنسية أصيبت بخسائر لم تتجاوز الخمسين بين قتيل وجريح وأنها اضطرت إلى ترك ثلاث مدافع رشاشة في مستنقعات الليطاني »[1] .

ملاحظة :

لا يصعب على القارىء أن يتصور ضراوة تلك المعركة بعد قراءة ما أوردته جريدة البشير . . . فباعتراف هذه الجريدة ـ وهي تصدر عن جامعة القديس يوسف : اليسوعية ـ وتنطق بلسان حال الفرنسيين ـ إنه أصيب للفرنسيين من جنود الفرقة حوالي خمسون جندياً بين قتيل أو جريح .

ثم إنها تعترف أيضاً بأن الحملة الفرنسية تركت وراءها ثلاثة مدافع رشاشة في مستنقعات الليطاني .

هذا الإعتراف الصريح يؤكد فرار الجنود الفرنسيين أمام ضغط الثوار بقيادة صادق حمزة الفاعور .

ومن ثم فهي تؤكد مدى جرأة هؤلاء الثوار وتوضح مدى القدرة العسكرية التي بلغتها فرقة صادق .

---

(١) جريدة البشير : عدد ١٣ كانون الثاني ١٩٢٠ .

٢ - الهجوم الأول على مدينة صور :

كان صادق حمزة يرى - لجهله وعدم وعيه السياسي - أن مسيحيي صور هم أعوان الفرنسيين . . لذا فيجب أن تكون أموالهم ومواشيهم - بنظره - حلّ له . وهذا الموقف إن دلّ على شيء فإنما يدل على مدى غباوة هذا الإنسان . . وعلى بساطة وسطحية تفكيره ومن ثم على عدم رؤياه السياسية . . فقد عاش صادق كما أشرت أمياً لم ينتسب إلى مدرسة رسَمية قط وإنما ثقفته الأيام فقد عاش بعيداً عن الناس إذ رعى الماشية في البدء ثم كان فراراً فعاش في المغاور والكهوف مع رفقة لا يحسنون القراءة ولا عهد لهم بحياة مجتمع مثقف عاش تجارب فكلهم كانوا على شاكلته ومن طينته .

وبهذه المعطيات مجتمعة - ثقافة وأعواناً - تحرك صادق حمزة الفاعور ليلا باتجاه صور . . فدخلها واستولى على مواشي المسيحيين فيها . . وساق تلك المواشي أمامه نحو « عين الراموح »(١) .

وعلت الضجة في المنطقة . وتحركُ أعيان البلاد لتخليص هذه المواشي وإعادتها سالمة إلى أصحابها . . ومن أجل تحقيق ذلك تألف في المنطقة وفد ضم كلاً من : ١ - الشيخ حسين مغنية وهو رجل دين مرجع يقيم في بلدة طيردبا قضاء صور . ٢ - الحاج إسماعيل يحي (الخليل) من أعيان ووجهاء مدينة صور ووالد الوزير والنائب كاظم الخليل . ٣ - الشيخ سليم كمال : رجل دين يقيم في بلدة دبعال . . يحترمه صادق ويجله .

انتقل أعضاء الوفد إلى حيث صادق على عين الراموح . . وبعد أخذ ورد ورجاء وإصدار أمر وإلحاح . . ومن ثم بعد عرض كل الظروف الخاصة والعامة . . رضي صادق أن يعيد القطيع سالماً .

وقد أوردت جريدة البشير هذا النبأ بالشكل التالي :

« في ١٦ أيار ١٩٢٠ (هكذا أرخت الجريدة) حشد

---

(١) ملحق رقم ٦ .

صادق العصابات المشتتة في القضاء فقضوا الليل في بساتين صور وفي سبعة منه بينما كان عسكر المتطوعين يستعد للمناورات العسكرية غربي المدينة كما هي عادتهم كل نهار جمعة هجم الأشقياء من الغرب مع طلوع الشمس وساقوا أمامهم ماشية البلدة تاركين ما يخص آل يحي (أي الخليل) فخرج عليهم بعض المتطوعين وشرذمة من الجندرمة فتفرق الأشقياء ودخلوا بستان البقبوق حيث تشتغل عيال مسيحية في تربية القز فقتلوا بعضاً وجرحوا البعض الآخر جروحات مميتة ثم لجأوا إلى الجبال والقرى المجاورة بعد أن قطعوا الأسلاك التلغرافية . . وقد بلغ عدد القتلى من الأهالي العشرة . يقود هذه الحملة صادق حمزة نفسه وهم مدججون بالأسلحة والقنابل اليدوية »[1] .

ثم نشرت الجريدة نفسها بتاريخ ٧ أيار ما يلي :

« وصل إلى مياه صور يوم الجمعة ثلاث مدرعات أنزلت زهاء مئة جندي وباشروا حالاً باصلاح أسلاك التلغراف والتليفونات التي كان الأشقياء قطعوها »[2] .

للبحث :

لا بد لي وأنا أقرأ ما نشرت جريدة البشير من أن أبدي الملاحظات التالية :

١ ـ الحادثة أي الهجوم على صور . . وقعت بدون شك . . وقد استطاع صادق حمزة الفاعور يومها أن يسوق أمامه عدداً كبيراً من المواشي التي كانت تعود ملكيتها لأبناء الطائفة المسيحية في صور .

٢ ـ إن الخبر أعطي للجريدة المذكورة عن طريق مراسلها إلا أنه يبدو لي أن

---

(١) البشير عدد ٦ أيار ١٩٢٠ .

(٢) البشير عدد ٧ أيار ١٩٢٠ .

ذلك المراسل لا يعرف صورٌ أبداً بل أنه لا يعرف عن جغرافية منطقة صور معلماً . . يؤكد ذلك الظن عندي ما جاء في نص هذا الخبر من مغالطات . . فهو يقول مثلاً : (وفي سبعة منه كان عسكر المتطوعين يستعد للمناورات العسكرية غربي المدينة كما هي عادتهم . .) ثم يقول : (وهجم الأشقياء من الغرب) .

مع العلم أن البحر الأبيض المتوسط يحد مدينة صور ومن جهاتها الثلاث : الغرب ـ الشمال ـ الجنوب وإن هذه المدينة لا تتصل باليابسة إلا عبر طريق واحدة تقع في الجهة الشرقية من المدينة ولعلها هي التي ردمها الاسكندر المقدوني يوم هدم صور البرية ليصل إلى صور البحرية التي كانت جزيرة .

وإذا عرفنا أن المتطوعين لم يكونوا يقومون بتدريبات بحرية ـ أي مناورات بحرية ـ ذلك لأنهم كانوا سيرسلون إلى بلاد اليمن وعن طريق عريش مصر . . .

هذا إذا كانوا ممن كان تابعاً للأتراك . . أما إذا كان المقصود بالمتطوعة . . تلك الفرق التي أنشأها الجنرالات باسم حماية القرى والدفاع عنها . . فإن هؤلاء لا يحتاجون أبداً لتدريبات على العمل البحري . . إذ لم يكن يهددهم في ذلك الحين خطر بحري أبداً .

ثم كيف تسنى لهؤلاء الأشقياء أن يهاجموا المدينة من جهة الغرب وهم لا يملكون سفناً حربية ؟؟ . . وإذا زعم البعض أنهم استعملوا مراكب . . فأين تركوا مراكبهم تلك وقد هربوا ؟ . . ولماذا لم تصادر القوات الفرنسية تلك المراكب . . مع العلم أن هؤلاء الأشقياء ـ حسب زعم الجريدة ـ لجأوا إلى الجبال فارين؟ .

٣ ـ وإذا كان المهاجمون قد فروا من وجه المتطوعين وشرذمة من الجند فكيف استطاعوا ـ وهم يفرون ـ أن يسوقوا أمامهم قطيعاً من المواشي . . ثم كيف يكون فرارهم إلى الجبال مع العلم أنهم عرجوا حسب الرواية على

بستان البقبوق . . وهو بستان يقع على شاطىء البحر وإلى الشمال من مدينة صور ؟ . . .

ثم كيف استطاعوا أن يغيروا على عمال هذا البستان فيجرحون ويقتلون وينهبون ؟ .

وأخيراً ، هل بإمكان ذلك المراسل ـ مع إحترامنا ـ أن يذكر لنا أسماء قتلى الأهالي . . أو أن يحدد على الأقل إلى أية قرية كانوا ينتمون . . وقد بلغوا حوالي العشرة . . مع العلم أن لا أحد غيره ذكر ذلك .

وهكذا فكثيراً ما كانت الصحف تتحمل مسؤلية نشر أخبار يوزعها مراسلون لم يكونوا يعرفون للكتابة معنى كما أنهم لم يكونوا يقدرون مسؤولية أثر وقع الحرف على سمع القارىء . . لذا فهم يلقون بكلامهم جزافاً . . عن قصد وعن غير قصد . . .

أسألك اللهم أن تعيذني شر ذلك . . وأن تثبت أصابعي قبل أن تجري بالقلم فترسم حروفاً . . وهب لي يا رب عنق الجمل أو الزرافة ـ ما هم ـ لأمضغ جيداً كل كلمة قبل أن أنطق بحرف منها .

وأنر بصري وبصيرتي يا رب . . لأستطيع قراءة الحروف وما بينها وما خلفها . . آمين .

٣ ـ الهجوم الثاني على صور :

نجحت وساطة الوفد . . وأعيدت المواشي إلى أصحابها في صور . . وبعدها سرت إشاعة مفادها أن الفرنسيين جهزوا حملة لملاحقة الثوار واستعادة المواشي بالقوة . . وإنه من أجل هذا وخوفاً من هذه المطاردة أعاد صادق ما استولى عليه رغماً عنه . . فلم يكن عمله هذا بدافع كرم خلقي .

وإذ عدنا إلى قول جريدة البشير السابق حيث أشار مراسلها إلى وصول مدرعات ثلاث فأنزلت إلى شاطىء صور مئة جندي لإصلاح أسلاك التلغراف والتليفون .

وإذا عدنا لقراءة هذا النبأ عرفنا كيف كانت تبعث الإشاعات وأدركنا مدى انتشارها ومن ثم وقعها في النفوس .

وصلت تلك الإشاعات إلى سمع صادق وقيل له إن الفرنسيين يستعدون للقيام بهجوم جديد لملاحقته . . وقبل التحدي . . ورابط بجنوده في ضواحي المدينة وعلى مفارق الطرقات المؤدية إليها ينتظر خروج الحملة التأديبية فيلقنها درساً قاسياً لن تنساه هذه المرة .

وعرف سكان صور بأمر هجوم صادق الجديد . . . فأضطر السكان المسيحيون إلى إخلاء منازلهم من جديد خوفاً من انتقام صادق وباتوا ليلتهم على متن سفن الصيد خاصتهم في عرض البحر وابتعدوا عن الشاطىء ولم يجرؤ أحد منهم على أن يقترب منه . . فهي وحدها طريق البحر التي توفر لهم الأمان .

إلا أن معركة جديدة بين الفريقين لم تقع . . وقد أشار أحمد رضا إلى تلك الحادثة في مذكرته فقال :

« أنه بينما كان صادق يرابط قرب صور منتظراً خروج الجيش لقتاله . . ولم يخرج إليه أحد . . طلب إليه أحد رجاله أن يدخل هو مدينة صور فأبى ذلك معتذراً بأنه جاء لمحاربة القوة الفرنسية لا ليذعر الأهالي الآمنين فإذا دخل البلدة أدخل الذعر إليهم بدخوله »[1] .

وهذا دليل جديد يؤكد عُلُو همة صادق ونبل أخلاقه . وقد أشارت جريدة البشير إلى هذا الحادث أيضاً فقالت :

« استولى الذعر على سكان مدينة صور المسيحيين فغادرها معظمهم على المراكب الشراعية لأن طريق البر إلى عكا وصيدا كانت مقطوعة . . وبعضهم غادر إلى بيروت ومعظمهم عرّج

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ ص ١١١٤ .

علـى مـدينـة صيـدا . . وآخـرون كـانت وجهتهـم عكـا وبورسعيد . »[1] .

ملحوظة :

وهذا القول الجديد لجريدة البشـير يؤكد أن مـدينة صـور لم يكن لها سوى مدخل بري وحيد يقع إلى الجهة الشرقية منها .

وفي هذا الطريق وحوله رابط صادق حمزة الفاعور وجماعته فلم يعـد أمام الهاربين سوى طريق البحر .

الرد الفرنسي على هذا الحصار :

ردت القوات الفرنسية على هذا الحصار في اليوم التالي بإطلاق نيران مدافعها باتجاه قـريتي البرج الشـمالي والبازوريـة القريبتـين من مدينـة صور واللتـان تقعان عـلى الطريق التي يمكن أن يكـون قـد سلكهـا صـادق بعـد إنسحابه :

ولعلها كانت تقصد بذلك القصف ما يلي :

أ ـ توجيه إنذار لسكان القريتين لجهة عدم التستر على مرور صادق وجماعته بـأرضهم . . وبالتـالي يكون هـذا الإنذار إنـذاراً لسكان سـائـر القـرى المجاورة .

ب ـ إعادة الطمأنينة إلى نفوس الصوريين وتبديد خوفهم وإظهار استعدادها للدفاع عنهم . . وأنها تقف إلى جانبهم أبداً وهذا القصف دليلها على ذلك .

ويبدو أن فرنسا لم تكن ـ في ذلك الحين ـ قد أحسنت تقـدير النتـائج فلم يكن حسابها دقيقاً مع النتائج التي حصلت .

ولعلها من جهة أخرى قد فعلت ذلك بقصد إذكاء نار الفتنة بين أبناء الطائفتين لتزداد اشتعالاً . . .

(١) جريدة البشير عدد ٨ أيار ١٩٢٠ .

لقد أدت هذه القذائف المعدودات الى تجميع الثوار من جديد ثم انهم اغاروا على كل القرى المسيحية الواقعة في منطقة صور كما انه نشبت في مدينة صور صدامات ومعارك بين أبناء الطائفتين أسفرت كلها عن انتصار بَيِّن للثائرين فقد تمكن هؤلاء من إحراق الكثير من منازل المسيحيين الذين عاودوا هروبهم من جديد متوجهين إلى عكا عن طريق البحر .

وهكذا أصبحت بلاد بشارة كلها تحت رحمة الثائرين .

هذا الواقع الجديد كانت تسعى إليه حكومة فرنسا جاهدة. . ولذا فقد ضخمت أخبار وتفاصيل هذه الحوادث بعد أن صاغتها بإخراج متقن ثم نقلتها إلى عصبة الأمم طالبة التعجيل بإقرار صك الإنتداب إذ تحول لبنان بأسره إلى غابة حيوانات مفترسة : القوي فيها حسب زعمها يأكل الضعيف . . وفي الصور التي حملتها بياناتهم خير دليل على ما تزعم . .

ووعدت أنها إن أُقِرّ مبدأ الإنتداب لن تعجز هي عن تأديب الثائرين وقطاع الطرق وذلك عن طريق إلقاء القبض عليهم أو نفيهم وإبعادهم خارج حدود مناطق نفوذها .

هذه بعض النماذج التي تُعتبر خطوات أولى من خطوات صادق حمزة العسكرية .

ب ـ نماذج من أعمال صادق العسكرية ضد المواطنين :

تبين أثناء عرض الأحداث أن صادق حمزة كان ينسق أعماله بالتعاون مع كل من : أدهم خنجر ومحمود أحمد بزي : ذاك يعمل في منطقة النبطية ويتخذ من قلعة الشقيق ـ أرنون ـ مركزاً لنشاطه . . وهذا يعمل في منطقة بنت جبيل الحدودية . . في حين أن صادق كان يعمل في منطقة صور وقد يمتد نشاطه أحياناً إلى مناطق مرجعيون .

ومن البديهي أن ينسب عامة الناس كل حدث يومي إلى رئيس أقوى

عصابة أو فرقة وإن قام به غيره . . وقد أشرت سابقاً إلى أن فرقة صادق كانت الأهم والأقوى من بين سائر الفرق ومن هنا ذاع صيته وتوزعت أخباره . . ومن هذا المنطلق يمكن أن نعتبر صادق مسؤولاً عن كل حادثة صغيرة كانت أو كبيرة جرت في إحدى المناطق الثلاث . . ومن ثم كان علينا أن ننسب إليه كل عمل جرى في قرى هذه المناطق . . .

ومع هذا الواقع فإنه لا بد لنا من أن نحمله وننسب إليه كل حدث جرى في منطقة نفوذه الخاصة أو بالقرب من مركز عملياته .

ولا أجدني مضطراً لسرد جميع ما يروي الناس من قصص أو ما حملت الصحف والمجلات وحتى الكتب من أنباء صادق . . وحسبي أن أسرد بعضاً منها فإنها كلها متشابهة وإن اختلفت من حيث المكان والتفاصيل .

١ ـ نشرت جريدة البشير تقول :

« حوادث هذا القضاء (وتعني قضاء صور) المنكود الحظ تكاد لا تنحصر في أعمال السلب والنهب والقتل التي تجريها عصابة من اللصوص من نحو من خمسة أشهر إلى اليوم والتي لم تزل تمرح وتسرح بدون ممانع ولا معارض ونحن نورد أهمها :

ـ في ١٠ نيسان : نزل الأشقياء بقرية جُويا فنهبوا ما نهبوا وقتلوا عرفات جشي ومحمد علي الكريدي[1] وأخذوا بعض البنادق الفرنسية كانت الحكومة أعطتها للأهالي وانصرفوا .

ب ـ في ١١ نيسان : قتلوا يعقوب عيد من علما في المحل المعروف بالبياضة ورموا جثته في البحر .

---

(١) يقول المتقدمون بالسن من أبناء جويا . أن الذي قُتل مع عرفات جشي هو من آل الجردلي وليس من آل الكريدي . . وإنه كان يقيم في بلدة معركة . . وإنه كان يتطبب لقاء أجر مقطوع . . وإنه عالج مريضاً يخص عبد الحسن سرور من جماعة صادق ولم يشفه وقبض الشرط . . ومات الرجل المريض فالتقاه عبد الحسن هذا في ذلك اليوم وقتله بطعنة خنجر . . كان ذلك يوم سبت باعتبار أنه يوم سوق جويا .

ج - في ١٢ نيسان : أتوا قرية البازورية على مسافة ساعة من صور وفرضوا على أهلها مئة ليرة أخذوهم منهم ثم أتوا إلى قرية عين بعال . . ففرضوا على الأهالي مائتي ليرة قبضوها أيضاً .

د - في ١٣ نيسان :

١ - أخذوا جملين من قرية النفاخية وأتلفوا حقولاً كبيرة مزروعة فولاً تخص المسيحيين . فأتى المتاولة المجاورون وأجهزوا على ما تبقى منها .

٢ - نزلوا على قرية المنصورة وأخذوا من بيت الحاج علي مد يحلي ثمانية رؤوس بقر ودابة ثم نهبوا من الرمالة على بعد نصف ساعة من صور وسط النهار وعلى قارعة الطريق أربعة وأربعين رأساً من الماعز .

هـ - في أوائل هذا الشهر سُلِبَ بعض المسيحيين في سوق بنت جبيل »[1] .

٢ - وجاء في مذكرت الشيخ أحمد رضا المنشورة على صفحات مجلة العرفان ما نصه :

أ - الخميس ١٩ شباط ١٩٢٠ : هاجمت عصابة قرية جويا أمس الأربعاء فنهبت بغض الدكاكين وساقت بعض المواشي . . وإن الخبر بلع كامل بك الأسعد فاستنجد بالعسكر الفرنسي فقطعوا الطريق على المهاجمين عند عين صبور في أرض الحولة .

ب - السبت ٢١ شباط ١٩٢٠ : « صح الخبر عن حادث يوم الخميس وهو أن العسكر خرج لقطع الطريق على العصابة التي هاجمت جويا وأشرفوا على الخالصة فرأوا قسماً من

(١) جريدة البشير عدد ٢٩ نيسان ١٩٢٠

العرب مجتمعين فأطلقوا النار عليهم »[1] .

ثم نشرت جريدة البشير :

١ ـ « منعت صادق حمزة وجماعته بعض أهالي دردغيا من حليشة مزروعاتهم بداعي أن أراضى دردغيا أصبحت ملك الدولة العربية تحت تصرف صادق بك أمير الجبل .

٢ ـ « أخذت عصابة صادق وجماعة الأشقياء من القرى الشيعية المجاورة لقريتي دردغيا والنفاخية المسيحيتين يحصدون مزروعات المسيحيين ولا يردعهم رادع »[2] .

هذا غيض من فيض من أخبار صادق حمزة الفاعور . وهو يمثل الجانب السلبي من أعماله . أما الجانب الإيجابي منها فقد اختلف كلياً . . من حيث التنفيذ والمقاصد . . وسيبدو ذلك جلياً أثناء الحديث عن مواقف صادق وتصرفاته في الإجتماعات العامة .

وقد وجدت عدنان أيوب يدعم هذا الرأي ويؤيده حيث يقول :

« خرج عبد الغني الدح مع اثنين من الجندرمة إلى تبنين . . لتحصيل أموال الحكومة الفرنسية فقابلهم صادق وقبض على الخيل والمال والدفتر . . فأخذ الخيل لنفسه أما المال فقد وزعه على باذليه حسب ما يشير الدفتر . . ومن ثم تهدد الأهلين بالويل إذا ما عادوا إلى دفع الدراهم للحكومة الفرنسية » .

وقد برّر صادق عمله هذا بأنه لا يعترف بشرعية الحكومة الفرنسية لذا يجب أن لا تستوفي الضرائب . . أما الإستيلاء على الخيل فلأنها (أي الخيل) تخص الحكومة التي يحاربها .

---

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٣ ص ٤٧٠ ـ ٤٧١ .

(٢) جريدة البشير عدد ٥ أيار ١٩٢٠ .

موقف أعيان البلاد . . والدولة الفرنسية من أعمال صادق .

أ ـ موقف أعيان البلاد :

من المؤسف أن أعيان البلاد لم يهبوا لتدارس حالة الأمن في البلاد إلا بعد أن بلغ السيل الزبى . . وبعد أن شعروا أن كراسيهم بدأت تهتز تحتهم . . عند ذلك فقط تنادوا إلى عقد مؤتمرات وتأليف وفود وتوقيع عرائض يحاولوا من خلالها وبواسطتها إحتواء الأوضاع وتخليص البلاد من الفوضى ، ومن ثم المحافظة على ما تبقى لدى الناس المنزرعين في قراهم يهددهم الذعر والخوف والترقب . . وتقلقهم الوحشة .

ومن المؤتمرات التي عقدها أعيان البلاد لتدارس الأمر كان مؤتمر الحجير ولا تعنيني في هذه الدراسة تفاصيل ما جرى في ذلك المؤتمر على أنه من باب القاء الضوء فقط أورد هذين البيتين من الشعر أرسلهما في ذلك الحين أحد العلماء الظرفاء وقد اشتغل بالسياسة وكان أحد وفود الأعيان في ذلك الحين . . إلا إنه المرحوم ابن عمنا العلامة السيد عبد الحسين محمود الأمين . . . .

ومما لا شك فيه أن القارىء سيقف على مدى خيبة أمل المواطنين بكل المؤتمرات تماماً ، كما هي حال المواطنين اليوم . . فقد قال العلامة :

أرى العلماء والزعماء طراً   قد اجتمعا لما لا خير فيه
كلا الأخوين «ضرّاط» ولكن   شهاب الدين «أضرط» من أخيه

قلت : إن تفاصيل ما جرى في ذلك المؤتمر لا تعنيني الآن بقدر ما يهمني أن أثبت هذه الفقرة مما أوردته مجلة العرفان وهي تتحدث وتوضح دور أعيان البلاد . . ومن ثم فهي تساعد كثيراً على كشف ناحية إيجابية من عمل صادق . . فقد جاء على صفحات العرفان ما نصه :

« تذاكر المؤتمر (يعني مؤتمر الحجير) بأمر الأمن في البلاد

فتقرر بالإجماع العناية التامّة بحفظ الأمن في سائر أنحاء هذا الجبل (جبل عامل) ولجميع أبنائه من مسلمين ومسيحيين واستُدعي الشيخ صادق الحمزة فدخل السرادق حيث انعقدت جلسة المؤتمر يحف به رجاله شاهرين بنادقهم حوله .. فجلس أمام العلماء والقرآن بين أيديهم فأخذوا عليه،وعلى رجاله الإيمان المغلظة أن لا يتعرض لأحد من المواطنين أبناء جبل عامل مسلمين كانوا أو مسيحيين بسوء أو أذية .. فأقسم بذلك واستثني من كان منهم إلباً للفرنسيين على الوطن واستقلاله مجاهراً بذلك مع الغاصبين المحتلين مسلماً كان أم مسيحياً أو من أي مذهب كان .. لأن جهادنا سياسي لا ديني)[1] .

وتوالت الأحداث وتتابعت وإذا بهؤلاء الأعيان المؤتمرين في وادي الحجير يوفدون عنهم مندوبين إلى بيروت ومعهم عرائض موجهة إلى الجنرال غورو يطلبون منه أن يرفعها بدوره إلى مؤتمر الصلح المنعقد في باريس وكانوا يطلبون في تلك العرائض إلحاق جبل عامل إلى دولة لبنان . وقد وجدت الشيخ أحمد رضا يعلق على هذا الموقف بقوله :

« والغريب أن الذين وقعوا هاتين العريضتين (عريضة ضم جبل عامل وعريضة التأييد للجنرال غورو)كان بعضهم بالأمس القريب يوقع على عكسها بواسطة الأمير فيصل وإلى مؤتمر السلام أيضاً »[2] .

هذا التناقض في المواقف فرضته الأحداث والمعطيات التي تتابعت وتلاحقت على جبل عامل . فمع امتداد ضغط الثوار كان الأعيان يركبون الفرس الجامح الثائر .. ومع انحساره كانوا يعمدون إلى تذكير السلطة الفرنسية بأنهم لا يزالون على علاقة طيبة ووثيقة معها .

---

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٨ صفحات ٨٥٧ و٨٥٨ .

(٢) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٨ ص ٢٥٧ .

وقد تحدثت جريدة البشير تصف مقدم وفد عاملي فقالت :

« قدم الثغر وفد مؤلف من ٥٣ ذات من وجوه وعلماء جبل عامل تحت رئاسة كامل بك الأسعد (الأول) واستأذنوا لمقابلة القائد العام الجنرال غورو فأذن لهم واستقبلهم وقد تكلم في حضرته السيد عبد الحسين شرف الدين فذكر للقائد العام ميله إلى الدولة الفرنسية وأطراء ما امتازت به هذه الدولة من العدالة والحرية وما لها من الفضل على الإنسانية »[1] .

مع العلم أن موقف السيد عبد الحسين شرف الدين هذا قد تبدل فيما بعد وإنه إلتزم الخط الوطني وثبت عليه . . ومن أجله لاحقته الدولة الفرنسية فاضطر إلى التخفي في قرية شحور - قضاء صور - ثم غادرها خفية إلى خارج لبنان - إلى مصر - .

يؤكد هذا الموقف الجديد للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين أن اسمه ورد في لائحة المحكوم عليهم بالإعدام والنفي من المتاولة .

وإذا عدنا إلى تتبع الأحداث وجدنا أن كامل بك الأسعد كان رئيس مؤتمر الحجير الآنف الذكر وإنه كان يمثل فيه الجناح السياسي وأن السيد عبد الحسين شرف الدين مثل الجناح الديني كما مثل صادق حمزة الفاعور الجناح العسكري .

والمتتبع سيجد بدون شك أن رئيسي الفريقين : الديني والسياسي في مؤتمر الحجير قد وقعا عريضة إلى الملك فيصل تحمل إليه التهاني وتعلن تأييدهما للحكومة العربية بدمشق ومن ثم فإنهم وفي نفس الفترة وقعا عريضة مماثلة إلى الجنرال غورو . . تعلن له تأييدهما ووقوفهما إلى جانبه ومن ثم تمنحانه منطقة جبل عامل لتضم إلى دولة لبنان المستقلة المستحدثة .

وهكذا يتوضح التناقض . . وتبدو لعبة تغيير الكراسي واضحة جلية ،

---

(١) جريدة البشير عدد ٧ شباط ١٩٢٠ .

هذا مع العلم أن صادق حمزة وحده حافظ على ثباته إلى جانب الملك فيصل وأخيه الأمير عبدالله طوال حياته ورغم كل الظروف التي مرّ بها . . فالحياة بنظره وقفة مبدأ لا أقل ولا أكثر . . وقد التزام بهذا المبدأ . . واستمر وفيّاً له حتى وفاته . . .

ب ـ موقف الدولة الفرنسية من أعمال صادق

عالجت الدولة الفرنسية الوضع الأمني في منطقة صور على صعيدين :

الأول : عسكري بحت :

ساء فرنسا أن تصل الحالة الأمنية في منطقة صور إلى ما هي عليه من تدهور وكان قد استقر بالدولة المقام نسبياً . فجردت الحملات المتتالية لمطاردة صادق وجماعته . وكان صادق يفر كلما احرج إلى أرض فلسطين حيث يستعيد أنفاسه ـ فتلك المناطق كانت محرمة على الفرنسيين . . . فهي مناطق نفوذ بريطاني ـ ومن ثم يعود إلى نشاطه من جديد .

وقد أوردت جريدة البشير حول هذا الموضوع ما نصه :

« بناء على الأحداث الجارية في قضاء صور عمد فخامة القوميسيار العالي إلى إرسال تجريدة إلى تلك المنطقة لإعادة النظام إلى نصابه وللقيام بتبديد عصابة الأشقياء فيها وهذه التجريدة يرأسها الليوتنان كولونيل نيجر المندوب الإداري للمنطقة اعربية . . وقد باشرت بالهجوم على صور فولت العصابة الأدبار بعد أن قتل ستة من رجالها »[1] .

وورد في مجلة العرفان حول نفس الموضوع ما نصه :

« إن مدير ناحية بنت جبيل جهز حملة من أربعين رجلاً من أهل الناحية للقبض على صادق الحمزة وأخيه اللذين دخلا

---

(١) جريدة البشير عدد ٢٥ أيار ١٩٢٠ ص ٣ .

المالكية (من أرض فلسطين حالياً) . . وهي من القرى اللبنانية التي ضُمت إلى فلسطين) وكان ذلك يوم الإثنين الفائت . . ولكن هذه الحملة رجعت خائبة »[1] .

الثاني : عسكري ـ سياسي

أ ـ اجتماع هورا :

إرتأت الحكومة الفرنسية أن تنشىء في القرى العاملية حرساً وطنياً يعمل بإمرة وإشراف الفرنسيين . . ويهتم بحماية أمن القرى والدفاع عنها . . ومن أجل ذلك دعت الأهلين إلى عقد اجتماع في مزرعة هورا ـ قضاء مرجعيون ـ لدراسة هذا الأمر وإقراره . . وأحسبها اختارت هورا عن عمد . . فهي من الناحية الجغرافية بعيدة عن منطقة صور التي كانت تحت سيطرة الثوار . . ذلك لأنها كانت تخشى أمر تعطيل الإجتماع إن تم عقده في قضاء صور أو في أية قرية قريبة تقع على حدوده . وهي تعلم أنها لا تستطيع بعد أن تمنع الثوار من شن هجوم مسلح مفاجىء قد يعرض حياة المجتمعين أو الوافدين أو المغادرين للخطر . .

وقد تحدثت مجلة العرفان عن ذلك الإجتماع فقالت :

« الخميس ١٥ نيسان . . عقد إجتماع في مزرعة هورا ـ مرجعيون وحضره حاكم صيدا العسكري المسيو شاربنتييه وأسفر الإجتماع بأن يعين حرساً وطنياً من المتطوعة عددهم / ٢٠٠ / يُعطى كل واحد منهم عشر ليرات راتباً شهرياً بقيادة قائد فرنسي . ويعين لهم مراكز في البلاد لحفظ الأمن وإذا حصل على البلاد مهاجمة شرقية فالحكومة الفرنسية هي الكفيلة بردها »[2] .

---

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٥ جزء ٧ ص ١٠٢٨ .
مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٤٤ جزء ٨ ص ٨٥٧ و٨٥٨ .

ب ـ إجتماع النبطية .

أرادت فرنسا أن تُشارك أعيان البلاد حملتهم في سبيل تهدئة الأحوال . فهذا الموضوع كان شاغلها في تلك الفترة . . ويبدو أنها أوفدت إلى حاكم صيدا العسكري تعلمه أن الجنرال غورو سيشارك في تلك الحملة بنفسه . . ولذا فعلى الحاكم العسكري لمنطقة النبطية أن يدعو الأعيان والوجهاء وكافة المواطنين إلى عقد اجتماع عام يعقد في بلدة النبطية .

وقد تحدث الشيخ أحمد رضا عن ذلك الإجتماع بإسهابٍ لذلك سأكتفي بأن أثبت ما أورد الشيخ :

« يوم الأربعاء ٢٥ شباط ١٩٢٠ ورد يوم الاثنين أمر من حاكم صيدا العسكري بأن تستعد النبطية وما حولها لاستقبال الجنرال غورو الأربعاء الساعة التاسعة صباحاً .

فنشر مدير ناحية النبطية الأمر وأبلغه إلى مختاري القرى بطريقة رسمية وأخذوا تواقيعهم بالتبليغ . . ولما كان يوم الأربعاء اجتمع الجند الفرنسي وكان عددهم حوالي المئة مشاة وسبعة وثلاثين فارساً . . اجتمعوا بقيادة ضابطهم في ساحة سوق الخضرة ولم يأتِ من القرى المجاورة أحد حتى أهل النبطية لم يحضر سوى جماعة لا يزيد عددهم على بضعة عشر رجلاً من الوجهاء وحضر الإجتماع كامل بك الأسعد من الطيبة وحسين بك الدرويش من جباع والحاج محمد سعيد بزي والسيد عبد الحسين محمود الأمين من أعيان بلاد بشارة .

ولما أزفت الساعة التاسعة جاءت سيارة الجنرال ومشى الوجهاء بجانبه إلى دار محمود بك الفضل حيث استقبله الشيخ عبد الحسين صادق والشيخ أحمد رضا ومحمد جابر آل صفا العاملي »[1] .

---

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٣ صفحات : ٤٧٢ و٤٧٣ .

ثم يتابع الكاتب فيقول :

« . . وتكلم الجنرال بما يلي : إن أهل هذا البلد أ.ل زراعة . ولا شك أن غارات الأشقياء تضر بزراعتهم فعليهم أن يتعاونوا لدفع شر هذه العصابات حتى لا يستغلها الثائرون . . وإن النبطية ذات سوق أسبوعية فوجود العصابات تضر بها . . وإن مع العصابات قوم من الشيعة »[1] .

فأجابه كامل بك الأسعد بقوله : « إن حفظ الأمن ودفع الغارات من أهم واجبات أبناء هذا الجبل وهذا الخلق متمكن منهم وإن وجود بضعة أشخاص مع العصابات ليس معناه أن البلاد مشتركة معهم »[2] .

وعندها استدعى الجنرال كامل بك إلى جانبه وسأله عن حوادث العصابات فقال له كامل بك : « إن عمل العصابات غير محصور بالمسيحيين بل يتعدى إلى غيرهم من المسلمين فهذه جويا كلها من المسلمين قد نهبوها »[3] .

تعليق :

كلما قرأت حديث الشيخ أحمد رضا عن إجتماع النبطية يزحمني سؤالان :

الأول : لماذا لم يحضر أهالي القرى هذا الاجتماع مع العلم أن الدعوة كانت رسمية . . وأنها أبلغت للمواطنين بواسطة مخاتيرهم . . .

الثاني : لماذا لم يخرج أهل النبطية بأجمعهم لإستقبال الجنرال وهي مناسبة قد تظل يتيمة فريدة . . مع العلم أن النبطية هي مدينة تغص بالمواطنين وإنها هي مكان الإجتماع . . ومع العلم إن كاتب الأحرف

---

(٢) و(٣) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٣ الصفحات ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .

فتشت كثيراً عن أجوبة قد تكون مقنعة وتقطع حبل تساؤلي . . وبعد لأيٍ توصلت إلى إعتماد جواب أرجو أن يكون الحقيقة التي أنشد . . أو أن يكون على الأقل القريب منها . . . وحسبي أنني حاولت .

من المعلوم أن الثوار في ذلك الحين كانوا يسيطرون على بلدة النبطية وعلى قرى المنطقة المجاورة لها وبالتالي فهم يتحكمون بسلامة الطرق والشعاب المؤدية إليها . .

ولم تكن فرنسا قد رسخت بعد أقدامها أو استطاعت أن تفرض هيبتها وطردت الثائرين . . .

ولما تحدد موعد الإجتماع ومكانه مسبقاً . . فلا أستبعد أن يكون الثائرون قد لعبوا دوراً هاماً في تعطيل انعقاده ولهذا امتنع الناس عن الحضور وإن لم يكن موقف المواطنين كلهم هذا تأييداً لمواقف الثوار فإنه ـ وبدون شك ـ كان خوفاً من شر سيلحق بهم بعد أن يعود الجنرال إلى بيروت .

يعزز هذا الإعتقاد عندي أن الأمن كان مفقوداً في ذلك الوقت وإن سيطرة الدولة على البلاد كانت شكلية .

الوضع السياسي في القرى العاملية :

توزعت سكان القرى العاملية خلافات سياسية وانقسامات عائلية أدت إلى نشوب معارك بين الأبناء في قراهم تسخن وتبرد تبعاً لتحرك الأحداث السياسية التي كانت تلف المنطقة .

وفي زحمة الأحداث العاملية وقد تعددت ساحات نشاطها فتعدّت حدود القرية وشملت المنطقة بأسرها تعاظم هذا الخلاف المحلي وتوزعت عائلات كل قرية انتماءات عربية حيناً وفرنسية أحياناً تبعاً لموقع رؤساء الأسر وأعيان البلاد . . وهذه الإنقسامات أدت في بعض الأحيان إلى ارتكاب

أخطاء بلغت في أذيتها حدود الموت أحياناً .

والجدير بالذكر ـ وقد انقضى على تلك الأحداث ما يزيد على نصف قرن ـ أن جذور تلك الإنقسامات وبكل أسف لا تزال تنمو وتبرز كلما سمحت لها الظروف .

ج ـ اجتماع صيدا :

يبدو أن إجتماع النبطية ـ وقد انعقد في شهر شباط ـ لم يعطِ ثماره لجهة ترسيخ الأمن فتنادى زعماء الطائفتين : المسيحية والشيعية لعقد اجتماع جديد موسع على أن يكون مكان إنعقاده هذه المرة في مدينة صيدا بعيداً ـ كما أظن ـ عن متناول الثوار ـ فأعد له وتشكلت الوفود وانعقد في شهر حزيران من العام نفسه .

وقد تحدث عنه الشيخ أحمد رضا وهو يكتب مذكراته . . فذكر أسماء الوفود التي شاركث ومن ثم روى تفاصيل ماحدث اثناء الإجتماع . ولا أجد مانعاً في نقل ما أورده الشيخ زيادة في التأكيد :

« الإثنين ١٤ حزيران : .

كثر التحدث بين زعماء الشيعة وزعماء المسيحيين الذين كانوا يومئذٍ في صيدا بعقد اجتماع شعبي أهلي من الطائفتين يكون فيه مندوب من الحكومة ومندوب من بطريرك الموارنة . وقد استحسن علماء الشيعة هذا الأمر وذهب فريق من الحاج اسماعيل الخليل ويوسف بك الزين وفضل بك الفضل والسيد عبد الحسين محمود الأمين وأحمد رضا إلى القائمقام ليستأذن هذا من الحكومة بعقد اجتماع يوم الثلاثاء ١٥ حزيران .

وحضر المتصرف ساعتئذٍ واستحسن ذلك . وفي أثناء وجودنا في دار الحكومة جاءت برقية من قائد الدرك في النبطية تخبر الحكومة إن العصابات الثائرة ملكت جسر الخردلة وإن منها

عصابة صادق وعددها ٣٠٠ وعصابة أدهم خنجر وشبيب العبدالله احتلت قلعة الشقيق وعددها ٢٥٠ وإن محمد بك التامر ومعه ٤٠٠ محارب في قرية عديسة .

وبعد ذلك ذهب وفد من الموجودين إلى النبطية لينصح الثائرين بالإقلاع عن أعمالهم . . ورأى الوفد أن يكتب إلى محمد بك التامر كتاباً وإلى صادق حمزة كتاباً وآخر إلى أدهم وشبيب كذلك . وأرسلت الكتب[1] .

وبقي الوفد ينتظر أجوبة زعماء الثورة وكانت انتشرت الأخبار بهجوم الثوار على دير ميماس وأنهم قتلوا منها رجالاً وأحرقوا بعض البيوت . وإن قرية« الخربة » تضطرم فيها النار وإن الجديدة قد هوجمت والمعركة فيها شديدة[2] .

وعند العصر عقد اجتماع في النبطية في النادي الحسيني وقرّ الرأي على إرسال برقيات من الوفد إلى الشام لتتولى منع الثائرين عن هذه الثورة لأن الجبهة الشرقية العربية هي المنشطة لهذه الثورة .

وبالحال كتبت البرقيات إلى الملك فيصل وإلى رئيس المؤتمر السوري ورئيس وزراء الشام وخلاصة ما فيها : إن ما يؤلف في الجبهة الشرقية من العصابات بات خراب البلاد وقتل النفوس ونهب الأموال فنطلب التثبت من ذلك »[3] .

هذا ما كان يدور في الفلك السياسي . . فكيف كان رجع ذلك في تصرفات الدولة الفرنسية ؟ .

---

(١) الكتب هي في الملاحق رقم ٢ ـ ٣ .

(٢) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٤ جزء ٣ ص ٣٥٤ .

(٣) المرجع نفسه (مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٤ جزء ٣ ص ٣٥٥) .

د ـ ضريبة صادق :

بعد تلاحق تلك الأحداث . . وقد بدا صادق بطلها كلها داخله إعجاب بنفسه . . فعين من قبله جباة يطوفون في البلاد ويجمعون من المكلفين الخراج مقابل إيصالات صادرة عنه . . واضطرت الدولة بعدها لأن تعترف بهذه الإيصالات ومن ثم تحسم قيمتها من أصل المترتب على المواطنين من ضرائب . . .

وأظن أن الدولة باعترافها بتلك الإيصالات كانت تبغي أن تحافظ على هدوء المواطنين الذين كانوا في غالب الأحيان عاجزين عن دفع ضريبة واحدة . . فكيف تصبح حالهم إذا أجبروا على دفع ضريبتين عن أمرٍ واحد ؟؟ .

وقد عقدت الدولة الفرنسية العزم على ملاحقة صادق وأمثاله . . ومن أجل ذلك فقد كثفت تجريداتها المتلاحقة وأخذت تجوب القرى تفرض على سكانها الغرامات المالية الباهظة حيناً وتغريهم بالجوائز والهبات المادية والمعنوية أحياناً .

ولما كانت دبعال مسقط رأس صادق فقد تحملت هذه القرية من الفرنسيين الكثير من الويلات . . إذ فرضت الدولة عليها ضريبة أسمتها ضريبة صادق . . وكانت هذه الضريبة عبارة عن عددٍ من « البواريد » الحربية . وفرضت على الأهالي أن يقدموها خلال فترة زمنية محددة . وأعلمتهم أنه إذا تلكأ الأهالي نزل عليهم وبهم غضب الدولة . فعسكر الحوالة جاهز ليحتل المنازل ويعيث فيها فساداً .

وبالإضافة إلى هذا الترهيب فقد عمدت الدولة إلى ترغيب المواطنين وإغرائهم لعل أحداً منهم يرشد رجالها إلى مكان وجود صادق وتواجده فمن أجل ذلك حددت جائزة باهظة تقدم لمن يأتي بصادق حياً أو ميتاً .

ملحوظة :

إذا رجع الباحث إلى تصور حالة الناس الإقتصادية لا سيما في قرية

صغيرة مثل دبعال . . وإذا عرف أن السلاح الحربي في ذلك الحين كان محرماً على المواطنين . . وأنه كان لا يوجد إلا مع رجال الدولة وأعوانها . . ومع رجال الفرار وإن بكميات قليلة جداً .

إذا تم له تصور هذا أدرك فداحة تلك الضريبقة التي وضعتها الدولة على أهالي قرية دبعال .

هـ ـ حملة نيجر :

تسارعت الأحداث وتلاحقت . . ويبدو أن الدولة الفرنسية قد اطمأنت على مصير مكاسبها فعزمت على توطيد الأمن والاستقرار في البلاد . . فتظاهرت بحماية النصارى في منطقة عامل وكانت قد أهملت ذلك عمداً ردحاً من الزمن . . بل وإنها كانت تغري أبناء الطوائف إحداها بالأخرى في سبيل تحقيق غاياتها .

ومن أجل ذلك جهزت فرنسا حملة بقيادة المندوب الإداري للمنطقة العربية الكولونيل نيجر وكان قُوامها أربعة آلاف جندي .

تقدمت الحملة إلى جنوب عامل عن طريق النبطية فجسر القعقعية ودخلت القرى فروعت الأهلين وجرت أعمال القتل على الظن والشبهة وأطلقت يد أعوانها ينتقمون لضحايا قرية عين إبل . . . وسمحت لأهل هذه البلدة بحمل ما يشاؤون من متاع البيوت تعويضاً لهم عن متاعهم الذي خسروه أثناء نكبتهم وكانت تقر لهم كل إدعاء بملكية متاع لمجرد القول إن هذا متاعه المسلوب .

ولم تكتفِ الحملة الفرنسية بهذا القدر من الأذى الذي لحق بالعامليين بل زعمت إنها تريد إصلاح ما هدمه الثوار من جسور وأبنية وتخريب طرقات ثم إنها تريد أن تعوض أهالي عين إبل بدل ضحاياهم الأبرياء . في حين أنها لم تلتفت أبداً إلى الخسائر الفادحة التي حلت بأبناء الطائفة الشيعية نتيجة هذه الحملة .

وكان الشعب لا طاقة له على تحمل كل هذا الأذى .

وأمام ضراوة هذه الحملة وإزاء تصرفات أبناء قرية عين إبل الرعناء وقد رافقوا الحملة وساروا بحمايتها . . . التجأ الكثيرون من العامليين إلى فلسطين طمعاً بالنجاة والسلامة مخلفين وراءهم نتاج السنين الطوال .

وبعد ذلك بقليل ظهرت على صفحات الصحف قوائم بأسماء المحكومين بالإعدام أو النفي أو مصادرة الأملاك من أبناء الشيعة الذين لم يتم القبض عليهم .

وقد عثرت على واحدة من تلك القوائم أوردها الشيخ أحمد رضا وجاء فيها : نشرت جريدة لسان الحال في عددها الصادر في ١٧ آب /١٩٢٠ لمراسلها الدمشقي بتاريخ ١٣ آب ما نصه :

« . . أرسل إليكم القائمة الثانية المحتوية على أسماء المحكومين بالإعدام والنفي من المتاولة .

المحكوم عليهم بالنفي ومصادرة الأملاك هم :

كامل بك الأسعد ، عبد اللطيف الأسعد ، مراد غلمية ، حسن يوسف ، نصرالله الصعبي، الحاج محمد سعيد بزي ، السيد عبد الحسين شرف الدين ، السيد عبد الحسين نور الدين ، صادق الحمزة ، محمود البزي ، رياض حسن فرحات ، عبد المجيد محمد بزي ، محمد فرح سليمان ، موسى بوزقلي ، الشيخ عبدالله عز الدين ، محمود فرج ، سليمان طرفه ، الحاج فياض شرارة ، الحاج محمد سويدان ، أدهم بك خنجر ، علي حرب ، محمود أحمد قاسم ، عبد الحسين سرور ، محمد بك التامر ، نمر بلوز ، السيد يوسف طاهر ، يعقوب قرعوني ، حسين علي محمود ، محمد قاسم ، طعان السيد خليل ، رشيد السيد خليل ، حسن سلمان طباجة ، نسيب عبدالله ، لطفي عبدالله ، نجيب عبدالله ، كامل يوسف ، كامل سرور .

خروج صادق من لبنان : هجرة صادق . .

وعندما وصلت الأوضـاع الأمنية في جبـل عامـل إلى هذه الحـالة . . ويبدو أنه قد تم التفاهم بين الدولتين : الفرنسية والبريطانية ، فأطلقت يد فرنسا في لبنان . .

عند ذلك غادر صادق حمزة الفاعور لبنان مهاجراً وتم إحصاؤه مع قيد المهاجرين . . .

وكانت أرض الحولة محطته الأولى .

الفصل السابع

١ ـ أعمال صادق خارج لبنان :

أ ـ في الحولة ...... مؤامرة يهود طلحة

ب ـ في الجولان ...... محاولة اغتيال الجنرال غورو

ج ـ في درعا .... وفاؤه لصديقه أدهم ونهاية أدهم .

د ـ انتقال صادق إلى الأردن .

٢ ـ أعمال صادق في الأردن :

أ ـ الأمير عبدالله يمنحه لقب بك

ب ـ دور صادق في تثبيت الأمن .

ـ قضاؤه على أمير تبنة . .

ـ استمرار عداوته للفرنسيين وأعوانهم .

ـ حادثة طفس .

٣ ـ نهاية صادق .

أعمال صادق خارج لبنان

١ ـ صادق حمزة في الحولة :

في خريف عام عشرين وتسعمابة وألف غادر صادق حمزة الفاعور وبعض رفاقه لبنان وصحبه بعض أصدقائه ورفاقه .. وكان أبرزهم صديقه الحميم أدهم خنجر .

انطلق الاثنان ومن صحبهما إلى أرض الحولة .. وهناك افترقا وإن كانت بُغْيَةُ كل منهما أرض الجولان حيث تقوم الحدود السورية فهناك قائد حركتهما .. الملك فيصل ...

مرّ ركب صادق بأرض الحولة .. وكانت وعرة المسالك لكثافة غابة البابير (بابيروس) وكثرة المستنقعات . فأقام في ذلك السهل حوالي ستة أشهر متتالية .. لقي خلالها كل حفاوة وتكريم وتحلقت به وحوله القبائل العربية .. ولعل ذلك كان بإيعاز من حكومة دمشق أو لأنهم عرفوا أنه كان يد الأمير الطولى في جبل عامل .. وانضم إليه عدد كبير من عرب الغوارنة وعرب الحولة وكان هؤلاء بزعامة كامل اليوسف .

وهكذا وبسرعة تحول صادق حمزة من رجل فار من وجه السلطة إلى زعيم صاحب « ديوان » ينضوي تحت لوائه عدد كبير من المتطوعين .

مؤامرة يهود طلحة :

وفي أثناء إقامة صادق في الحولة تعرض لمؤامرة أعدها يهود طلحة للقضاء عليه . . كان ذلك بإيعاز من السلطة الفرنسية وقد تمت الخطوات بإشراف مسؤولين فرنسيين . وقد تحدث الشيخ أحمد رضا عن تلك المؤامرة فقال :

« روى لنا بعض الدركيين الذين شهدوا حادثة مزرعة طلحة الصهيونية بما يأتي : إن جماعة عرب الحولة ومن ثوار جبل عامل كانوا في محلة عين صيبور . فدعاهم يهود طلحة إلى الغذاء تكريماً فأجابوا الدعوة . ولما دخلوا المزرعة وباشر اليهود تقديم الطعام أغلقوا أبواب المزرعة . وأحسّ المدعوون بالشر وهجمت امرأة يهودية على السيد كامل حسين اليوسف زعيم عرب الحولة وهي تحمل بندقية حربية فابتدرها كامل بطعنة أرداها وعطف على شريكها في الهجوم وهو يهودي أيضاً فأرداه وأخذ السيد صادق حمزة الفاعور زعيم الثائرين العامليين باطلاق الرصاص . . فهجم العرب الذين كانوا خارج المزرعة ونشبت معركة قُتل فيها من العرب عشرون ومن اليهود ستة .

وأسرع العسكر الفرنسي المرابط في مرجعيون لنصرة اليهود وظهر على الفرنسيين كمين للعرب فتراجع العسكر واليهود واحتل الثائرون المطلة وأضرموا النار فيها بعد أن أحرقوا مزرعة طلحة »[1] .

بعد هذه الحادثة عزم صادق حمزة على متابعة السير مع صحبه إلى دمشق . حيث كان يرى أن عليه أن يسترشد برأي نسيبه والمسؤول عنه الملك فيصل الأول . ملك الحكومة العربية في دمشق . . .

---

(١) مذكرات أحمد رضا : العرفان مجلد ٣٣ جزء ٦ الصفحات ٦١٨ ـ ٦١٩ .

وهكذا فعل .

صادق في الجولان :

تابع صادق طريقه من الحولة إلى دمشق . . وهناك رحب به الملك فيصل بن الحسين بن علي ملك الحجاز وأكرمه وعينه مسؤولاً عن منطقة بانياس وهي من قرى الجولان وهي غير المدينة الساحلية . فقدم صادق إلى تلك المنطقة واختار بلدة « زْعُوْرَة » مقراً له يصرف منها أحوال المنطقة .

وعندما تم إعلان الاستقلال السوري ونودي بالأمير فيصل ملكاً على سوريا انتدب هذا صادق حمزة ليقوم بتوزيع المناشير ورفع الأعلام العربية في قرى عامل فقدم صادق إلى منطقة عامل ودخلها من ناحية هونين فاستقبله الناس بالبشرى . . وكان لتلك الأنباء وقع عظيم في نفوس العامليين . وقد أشار الشيخ أحمد رضا إلى ذلك بقوله :

« . . الخميس ١١ آذار ١٩٢٠ م

شاع اليوم أن صادق الحمزة من قادة الثورة أتى قرية عديسة بعد أن مرّ بالطيبة (في قضاء مرجعيون) ومعه ١٥٠ رجلاً بين راجل وراكب »

ولم يطل فرح العامليين بالحكومة الشريفية كثيراً فقد بددت معركة ميسلون كل الأحلام ودخل الفرنسيون دمشق محتلين ، وتحوّل فرح الناس إلى غضبٍ وتشكلت فرق عسكرية تناهض الإحتلال . وكان أبرز قادتها : أحمد مْرَيْود من بلدة جباثة (الجولان) إبراهيم هنانو (من حلب) ورشيد علامة . . وغيرهم .

فيما كان سلطان باشا الأطرش في جبل العرب يراقب الأحوال ويعد بني قومه ليوم خطير مرتقب .

محاولة اغتيال الجنرال غورو :

بقيت عداوة صادق للفرنسيين تلاحقه حى وهو في الجولان وقد ساءه جداً تحول نسيبه محمود الفاعور (زعيم الجولان والذي كان يقيم في بلدة القنيطرة السورية) من زعيم ثائر يعمل بإمرة نسيبه الملك فيصل ضد الفرنسيين إلى جندي يعمل بإخلاص في صفوف الفرنسيين وتحت إشرافهم . . ينفذ رغباتهم . . يلاحق رفاق درب الأمس . . أو يرشد إلى مواضعهم .

ومكافأة لموقف محمود هذا . . قرر الجنرال غورو أن يزوره في مقر إقامته . . في القنيطرة . وأظن أن الجنرال قصد من هذا القرار الغريب أن يقطع آخر شعرة قد تكون باقية حتى ذلك الحين بين محمود الفاعور والحركة الوطنية .

وشاع خبر هذه الزيارة . . وعرف صادق بموعد قدوم الجنرال فاتصل بصديقه الحميم أدهم خنجر وتُداول معه الأمر ، وعقدا العزم على اغتيال الجنرال وهو في طريقه إلى القنيطرة . . ووضعا معاً خطة مشتركة تصلح للتنفيذ :

وكان يوم ٢٣ حزيران عام ١٩٢١ وقدم الجنرال ونفذت الخطة الموضوعة بدقة ومن غير خوف . . ولكن الجنرال نجا من الموت بأعجوبة في حين أنه قتل أمين سره وأُصيب بعض مرافقيه بجراح مختلفة .

وقد أشار الاستاذ سليم الراسي إلى تلك الحادثة وتحت عنوان « محاولة اغتيال غورو في طريقه لزيارة محمود الفاعور في القنيطرة فقال :

> « أُصيب الجنرال غورو بكم ذراعه المبتورة والتي كان قد خسرها في إحدى معارك الحرب الكونية الأولى وقُتل أمين سره القومندان برانيه وأُصيب مرافقه حقي بك العظم رئيس دولة سورية في ذلك الحين برصاصة في فخذه وأخرى في ذراعه وثالثة في شفته . .

كان ذلك يوم ٢٣ حزيران ١٩٢١ »[1] .

٣ ـ صادق في درعا
وفاؤه لصديقه أدهم .

بعد فشل محاولة اغتيال الجنرال نشطت الدولة الفرنسية ووجهت حملات عسكرية تطارد الصديقين . . وفي ذلك الوقت كان أدهم خنجر قد قرر تلبية دعوة كان قد تلقاها من قبل لزيارة بلدة « القْرَيّة » مسقط رأس سلطان باشا الأطرش ومقر إقامته .

وأبلغ أدهم صديقه صادق عزمه هذا . . وودعه ورحل .

وفي أثناء الطريق التقته تجريدة فرنسية يبدو أنها كانت تراقب تحركاته بواسطة عيونها . . فألقت القبض عليه وساقته مخفوراً إلى بلدة درعا على الحدود السورية ـ الأردنية ـ حيث كانت قيادة المنطقة . . (القيادة الفرنسية) . . ومن درعا سيتم نقل أدهم إلى بيروت بواسطة القطار .

ووصلت أنباء اعتقال أدهم إلى صادق فهب هذا مسرعاً لنجدة صديقه وقد استنفر كل رجاله وعزم على تخليصه من الفرنسيين مهما كانت التضحيات .

سار بأعوانه إلى أقرب موقع يمر فيه القطار في طريقه إلى بيروت وكمن مع رجاله بعد أن خلّع بعض القضبان الحديدية ثم جرت معركة حامية الوطيس بينه وبين الفرنسيين المرافقين استطاع في نهايتها صادق أن يعود بصديقه سالماً معافى . بعد أن أحرق العربات الخمس التي كانت تشكل حملة سوق أدهم . . مع العلم أن الجنود الحرس تخلوا عن الدفاع ولاذوا بالفرار[2] .

---

(١) سلام الراسي : لئلا نضيع ، مؤسسة نوفل بيروت جزء ١ ، ص ٦٩ .
(٢) مقابلة شخصية مع رفيق صادق وقد كان أحد المهاجمين . . جرت المقابلة في بلدة الشهابية يوم ١٨ / ٦ / ١٩٧٨ .

ومع العلم إن بعض الرواة ينسبون هذه الحادثة لأهميتها إلى سلطان باشا الأطرش . . . والله أعلم .

ولا أستبعد أن تكون تلك الحادثة قد جرت مع صادق لكوني أعرف مدى الحب الذي كان يجمع بين الصديقين . . والحب يفعل العجائب .

وإن كان بعضهم قد نسبها إلى السلطان فإنني أرى ذلك كان لكونها جرت في المنطقة التي كانت خاضعة لنفوذ السلطان . وقد جرت العادة أن تنسب الأعمال الخارقة دائماً إلى أكثر الرجال بروزاً في المنطقة .

نهاية أدهم خنجر :

لم تثنِ هذه الحادثة أدهم عن عزمه على زيارة السلطان . . في بلدة القرية . . فبعد مدة . . توجه إلى القرية . . ودخل حرمها . . ودخل مضافة سلطان باشا . . ولكنه لم يجده . . وأُعلم أن السلطان موجود خارج القرية لقضاء أمر هام وهو عائد فلينتظر على الرحب . . .

ويبدو أن أحداً من أعوان الفرنسيين أو من الذين يكرهون السلطان شاهد أدهم فعرفه . . فأسرع إلى القوات الفرنسية وأعلمها بوجوده في مضافة السلطان وحيداً وإن السلطان غائب عن القرية . . .

وفاجأت القوة الفرنسية أدهم وألقت القبض عليه وساقته من جديد مخفوراً إلى درعا وتحت حراسة مشددة .

ومن درعا تم نقل أدهم على متن طائرة عسكرية « طوافة » إلى بيروت حيث جرت محاكمته بشكل عفوي وسريع . . ومن ثم نفذ فيه حكم الإعدام رمياً بالرصاص في ساحة العدلية حيث كانت تقوم السرايا القديمة .

وقد أكد لي رفيق أدهم . . الحاج عبد المطلب سلمان . . من الشهابية أنه شهد عملية تنفيذ الإعدام في بيروت .

ومن غريب الصدف أن هذا الحاج وقد تجاوز الثمانين من عمره كان يوم التقيته في منزله لا يزال يتمتع بذاكرة واعية جداً . . فكان يحدثني وكأنه

يقرأ في دفتر مذكرات . . أو كأن شريطاً مصوراً يرسم له أدق التفاصيل .

واعترف أنه حدثني عن صادق حمزة الفاعور باسهاب وعبر فترات متلاحقة . . منذ فراره وحتى ضياعه . . فعرفني بكثير من صفاته التي ذكرت وأكد لي العديد من الأعمال التي رويت .

ومن غرائب الأمور أن زوج محدثي ـ وكانت تجلس في الغرفة المجاورة تصغي . . انتهرته وأمرته بعدم متابعة الإدلاء بأية معلومات أمامي . . فقد حسبتني أحد رجال الأمن العام وإنني إنما أحدث زوجها لأوقع به فهو من أعوان صادق الفاعور الذين لا يزالون على قيد الحياة . . وإنني سألقي القبض عليه لتجري محاكمته من جديد .

وصدق هذا الرجل زعم زوجته فامتنع عن الحديث وأنكر كل صلة له بما قاله لي منذ دقائق . . وأصر أنه لا يعرف صادقاً أو أدهماً . . .

ولذا فقد امتنعت عن إثبات ما سمعت منه مع العلم أنني لاحظت وتيقنت أنه كان صادقاً وهو يحدثني في كل كلمة نطق بها وقد بدا هذا الصدق واضحاً في بريق عينيه وفي تعابير قسمات وجهه . وقد دعم هذا اليقين عندي طريقته في الجواب فكان وكأنه يراقب شريطاً حياً استوعبته وحفظته ذاكرته .

وهكذا فقد صمت ذلك الرجل التمثال . . فانقطع بصمته دفق معلومات قد تكون تختزن الكثير مما يساعد على إلقاء الضوء على كثير من الأمور التي لم أزل أجهل الكثير عن تفاصيلها .

مع العلم أن هذه المعلومات ذهبت وإلى الأبد بعد انتقال ذلك الإنسان إلى الرفيق الأعلى . . فقد حاولت الإتصال به من جديد وأدركت ذلك .

وهكذا فإن الجهل ـ جهل المرأة وجهل الرجل ـ لعبا دوراً هاماً في طمس حقائق عاملية كثيرة . . وإنه بمثل هذا الجهل ضاعت أخبار عاملية من قبل وإنه إن استمر الجهل مسيطراً ستضيع أخبار أخرى .

وهكذا يكون الجهل قد وقف عقبة كؤوداً في وجه الباحثين الذين أخذوا على عاتقهم إعادة كتابة التاريخ العاملي من جديد .

ذلك لأن كتابة التاريخ لا يمكن أن تكون وقفاً على فرد أو جماعة وإنما هي حركة دائمة التجدد . . ما دام العقل الإنساني نيراً أبداً . . فهو يستطيع أن يكشف كل يوم جديداً .

٤ ـ صادق في الأردن

كانت حادثة اختطاف أدهم من مضافة سلطان باشا الأطرش بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير . . .

فقد أعلن السلطان ثورته على الفرنسيين في جبل العرب أما صادق حمزة فقد غادر الجولان إلى الأردن . .

ويبدو أن دولاب صادق بدأ يدور بالإتجاه المعاكس . . فقد خسر أصحابه الواحد تلو الآخر ومن ثم فإن حلمه في تحقيق دولة عربية في دمشق قد بددته معركة ميسلون . وغدا الفرنسيون الذين كانوا بالأمس يفرون منه يعدمون اليوم من وقع بقبضتهم من رفاقه .

ومن أجل ذلك كله عزم صادق حمزة أن يرحل إلى الأردن فهناك سيكون بعيداً عن مناطق نفوذ الفرنسيين . ومن ثم عن مدى ملاحقتهم له . . وليفعل الله بعد ذلك ما يشاء .

انتقل صادق من بانياس ـ الجولان ـ إلى الأردن . . فاستقبله الأمير عبدالله ـ أمير الأردن ـ بالترحاب وتقديراً لأعماله وإخلاصه عينه قائداً عسكرياً لمنطقة إربد كما عين أخاه مصطفى وكيل أحراج .

وعظم أمر صادق بنظر الأمير عبدالله لما أبداه من ولاء له ولأخيه الملك فيصل طوال حقبة زمنية شهدت تقلبات في مواقف رجال الدين ورجال السياسة معاً في حين أنها شهدت من صادق موقفاً صارماً ثبتاً لم يتحول أبداً .

ومن أجل هذا الولاء قرّب الأمير صادقاً منه وجعله يده اليمنى التي لا ينجو من عقابها حسب اعتقاده خارج على القانون كما أنه لن يفلت منها فار من وجه العدالة عبث بالنظام يوماً . . سيما وأن البلاد الأردنية كانت تشهد نوعاً من الحياة القبلية العشائرية .

من أعمال صادق في الأردن

ومضى صادق بهدي من الأمير وبدعمٍ منه يوطد الأمن ويحل المشاكل العالقة بين الناس المتخاصمين . . وقد حفظ له الناس كثيراً من الأعمال . . اكتفي بذكر بعض منها على سبيل المثال : .

١ ـ القضاء على كُلَيْب صاحب تُبِنَة :

ومرت الأيام وجاءت جماعة من الاعراب تشكو إلى الأمير عبدالله كليباً . . وكليب هذا كرديّ يعيش في بلد تبنة . . كان يعتدي على الناس ويروع الآمنين . . وكان مغروراً بقوته البدنية . . ومن أجل ذلك فإنه لا يعرف النظام ولا يحترم قانونه . . فكل ما شاء فعل . . ولا أحد يستطيع أن يردعه . . فالإمارة لا تزال في مطلع عهدها . . ولم تتكون فيها بعد قوة عسكرية رادعة تستطيع أن ترسخ الأمن .

وبعد أن وقف الأمير على شكوى المواطنين . . استدعى صادقاً وأوكل إليه أمر تأديب كليب والعمل على الحد من نشاطه وغطرسته . . هذا إذا لم يستطع أن يحضره مقيداً إلى مقر الأمارة .

جهز صادق حملة من رفاقه الخلّص الذين رافقوه إلى الأردن وأبوا أن يتخلوا عنه . . وبعد التشاور أغار بهم على مضارب قبيلة كليب في تبنة . . فأحرق الخيم ولم تسلم من الحريق المنازل . . ولم يستطع كليب أمام هذا الهجوم الإفلات أو الهرب فاقتاده صادق أسيراً مقيداً ذليلاً إلى ديوان الأمير .

وبهذا العمل الشجاع ازدادت مكانة صادق حمزة عند الأمير عبدالله ومنذ ذلك التاريخ منحه الأمير لقب بك فأصبح الناس في الأردن أيضاً

يدعونه باسم صادق بك . . .

وبعدها نصب صادق له صيواناً في مدينة إربد وأصبح يستقبل فيه الناس . . يستمع إلى شكاويهم . وكان في كل حين يجد لكل مشكلة حلاً يفرضه ومن دون أن يرجع إلى الأمير . . فذاع صيته . . وتحدث عنه الناس .

٢ ـ استمرار عداوته للفرنسيين :

وبقي خيال أدهم خنجر يلاحق صادقاً في مقره الأخير ومن أجل الوفاء لهذا الصديق فقد عاهد نفسه أن يغير على مراكز الفرنسيين كلما سمحت له ظروفه .

وقد استطاع في إحدى غاراته أن يأسر زوجة الحاكم الفرنسي وكانت في سيارتها . . وبعد حديث طال أوضح لها موقفه وبواعث تحركه . . ثم أطلق سراحها لكونها امرأة . . وأصرت هي على أن تتعرف عليه . .

وكان لها ما ارادت . . .

وهذا التصرف لم يكن غريباً عن طبع صادق إنما هو ينسجم مع نبل خلقه وإحترامه للمرأة ومحافظته على الأعراض .

حادثة طفس .

وكان من عادة صادق أن يزور بلدة طفس ـ وقد أصبحت تابعة للإنتداب الفرنسي بعد تنفيذ معاهدة سايكس ـ بيكو ذلك لأن شيخ القرية كان يدَّعي ويظهر له الصداقة والحب .

ويبدو أن أخبار هذه الصداقة قد وصلت إلى سمع الفرنسيين وإن هؤلاء أصبحوا على علم بحدوث تلك الزيارات المتكررة .

وفي سبيل القضاء على صادق أو التخلص منه ومن شروره فاوض الفرنسيون شيخ طفس وأغروه بالمال وبالوعود المعسولة وطلبوا منه أن يخون صديقه .

ولم يستطع ذلك الرجل أن يصمد أمام هذا الإغراء ورضي أن يكيد بصاحبه فأولم له ولرفاقه . ثم اعلم الفرنسيين بالموعد . . .

وفي اليوم الموعد حضر صادق ورفاقه . . وطوّق الفرنسيون المكان ودارت بين الفريقين معركة حامية أسفرت عن مقتل صديق صادق صاحب الدعوة شيخ طفس . . واستُشهد من رفاق صادق . . اللبناني عبد الحسن سرور . . وهو من الذين لزموا صادق ولازموه منذ بدء حركته الثورية واستطاع صادق أن ينجو بنفسه مع باقي الرفاق سالمين .

وبعد هذا الدفق من الأحداث لا أجدني بحاجة إلى تكرار إثبات روايات كلها متشابهة وكلهة تتحدث عن أعمال صادق . . فقد سمعت الكثير من أخباره أثناء بحثي .

وإنني أعتبر أن ما ذكرت من حوادث يكفي لإعطاء القارىء فكرة واضحة سعيت إليها وهي تبدي وبوضوح ملامح تلك الشخصية العامليه التي تركت همّلاً زمناً . . .

نهاية صادق

تضاربت الأقوال كثيراً حول الحادثة التي اختفى بسببها صادق حمزة الفاعور . مع العلم أن الجميع يؤكدون أن ذلك كان عام ستة وعشرين وتسعمائة وألفاً .

ومع أنني بذلت جهداً في البحث والتحقيق . . إلا أنني لم أستطع أن أجزم بصحة واحدة منها فادعي أنها هي التي تمثل الحقيقة وتؤرخ نهاية صادق .

ولعله من المفيد أن أجمع ما سمعت في روايات ثلاث أسردها على سمع القارىء ـ وأضعها بعد التدقيق والملاءمة أمامه تاركاً له أن يستخلص من بينها الحقيقة بعد قناعة .

وأرجو أن تسمح لي ظروفي . . أو ظروف أحد الباحثين بإثبات ما

خفي من هذا الأمر.

أما الروايات التي سمعت أو قرأت أخبارها فهي :

الرواية الأولى :

إن المنزلة التي حظي بها صادق حمزة الفاعور عند الأمير عبدالله في الأردن حيث تهافت الناس على « صيوانه » . . بعثا في نفس صادق الزهو والغرور والتعالي . . بحيث أصبح يعتقد أنه هو الذي ثبت حكم الأمير ودعّمه . . ولذا فهو أحق بمظاهر التكريم والإحترام والتقدير منه .

ويبدو أن هذا الشعور انعكس على تصرفات صادق وظهر عبر أحاديثه وتصاريحه . . فساء هذا الأمر الأمير عبدالله فأوعز هذا إلى أعوانه أن يتخلصوا من صادق وهكذا كان .

الرواية الثانية :

إن زوجة صادق عبده علي بزي التي كانت تعيش معه في الأردن تآمرت عليه مع جماعة من أكراد تبنة الذين حقدوا عليه بعد أن أذل كليباً .

إلا أن من صادفت وقابلت من رفاق صادق وهم يعرفون زوجه عبده أكدوا كلهم أنها كانت تحبه كثيراً وتفخر به وأنها كانت شديدة الإخلاص له .

الرواية الثالثة :

إن إثنين من سكان بيروت طمعاً بالجائزة التي أعلنت عن منحها السلطات الفرنسية فعمدا إلى سلوك طريق الحيلة بغية الوصول إلى المكاسب .

قدما إلى الأردن وأعلنا أنهما يستجيران بصادق بك وادعيا أنهما فاران من وجه السلطة الفرنسية لأنهما قتلا قنصل فرنسا في بيروت . . ومن ثم أعلنا أنهما لا يريدان أن يعودا إلى لبنان بل إنهما يريدان أن يعملا في خدمة

صادق بك ـ إن رضي هو بهما ـ وهو وحده يستطيع أن يحميهما .

وانطلت الحيلة على عقل صادق . . وكان كما أسلفت أمياً بسيطاً لا يحسن تقدير الأمور . . ومع هذا الواقع قبل صادق اللاجئين وأجارهما . . فهو يعيش حياة عشائرية .

وبعد فترة وجيزة أصبح هذان رفيقيه . . يلازمانه في حله وترحاله .

وفي أحد الأيام ذهب صادق إلى نهر الشريعة ـ رافد نهر الأردن ليغتسل ويصطاد السمك كعادته . . وكان يرافقه هذان الرجلان . . وبعد أن استقر بصادق لعبه في الماء غافله صديقاه وقد أنسا منه غفلة وسهواً . . فاغتالاه رمياً بالرصاص وهربا .

وحملت مياه نهر الأردن جثة صادق فأبعدتها ولم يعثر عليها أحد لتاريخه .

هذه الرواية هي أقرب الثلاثة من حقيقة نهاية صادق بنظري . . يؤكد هذا الرأي عندي ويدعمه ما عثرت عليه خلال سطور من حكايا سلام الراسي في مؤلفاته الكاملة وعلى الصفحة ٩٦ حيث قال :

« . . وقد علمت من شكيب وهاب أحد أقطاب الثورات والحركات المسلحة في لبنان وسوريا . إن صادق حمزة رفيق أدهم خنجر قُتل فيما بعد بواسطة اثنين من رفاقه هما أبو ذياب الكردي وشريف البعلبكي في حوران »[١] .

وهكذا . . فقد بقيت نهاية صادق مجهولة حتى هذا التاريخ يلفها الغموض .

---

(١) سلام الراسي : المؤلفات الكاملة . مؤسسة نوفل طبعة ثانية ١٩٧٧! ، ص ٩٦ .

الخاتمـة

هذا ما استطعت جمعه من أخبار صادق الشيخ علي حمزة الفاعور وقد أشبعت حكايا الناس عنه تحقيقاً وتمحيصاً . . فأثبت منها ما وجدته يتناسب مع واقع إنسان أُميّ عاش ظروفه . . وتركت الكثير من الأخبار التي نُسبت إليه ولكنها تغرق في الخيال .

ولعله من الإنصاف أن أقول إن هذا الإنسان كما أتضح لي مما سبق ذكره لم يكن ثائراً بمعنى أنه كان يحمل أفكاراً مسبقة كما أنه لم يكن صاحب دعوة إصلاحية مثالية لمجتمع يحلم به . . وإنما وجدته إنساناً لم يرضَ عن الواقع الذي عاشه سكان بلدته على صغرها ومن ثم بالتالي سكان المنطقة حيث كان يعيش في تلك الحقبة الزمنية فشق لنفسه في ظروف صعبة طريقاً وعرة ، وعملت الأحداث المتلاحقة في نفسه صقلاً وبلورة فأصبح في نهاية مطافه يحمل مثلاً يعمل في سبيل تحقيقها ويضحي من أجلها .

وقد ظهر لي من سير الأحداث أن صادق حمزة الفاعور كان على إتصال دائم وخلال عمله المتواصل بالملك فيصل الأول ملك الشام ومن ثم مع شقيق الملك الأمير عبدالله أمير الأردن .

يقوي هذا الرأي عندي ويدعمه ذلك الدعم وذلك التأييد اللذين تلقاهما من الأخوين : مادياً وعسكرياً . .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في إنارة الزاوية التي ترك فيها صادق

حمزة إهمالاً طيلة فترة زمنية سابقة .

وأتمنى أن تكون خطوتي هذه شعلة ولو صغيرة خافتة الضوء على طريق البحث العلمي تنير دروب أخوتي العامليين وسائر العاملين في حفائر البحث .

وإن كان قد فاتني الكثير من أخبار صادق فعذري أنني حاولت وجهدت ولا أدعي الكمال .

عسى أن يتوصل غيري إلى كشف خبايا أخرى تصحح لي خط مساري حيث جَنَحْتُ . . أو تلفت نظري إلى خبايا كثيرة لا تزال دفينة في عامل . . ولم أهتدِ إليها .

وحسبي أنني كنت صادقاً فيما أثبته بعد أن سعيت إليه وإنني لا أبغي منه كسباً مادياً وإنما أبذله خدمة للعلم ووفاء لأهل واداءاً لواجب .

وحسبي كسب مرضاة ربي فهو الولي وإليه المصير . .

الملاحق

« نصوص »

١ ـ بيان قيد صادق حمزة
٢ ـ من نص كتاب وفد صيدا إلى صادق حمزة
٣ ـ من جواب صادق حمزة للزعماء
٤ ـ اسماء بعض رفاق صادق
٥ ـ أسماء الأشخاص كانوا مع صادق أو عرفوه
٦ ـ قرى ورد ذكرها في النص
٧ ـ أمكنة مر ذكرها في النص
٨ ـ أشخاص ورد ذكرهم في النص .

ملحق رقم - ١ -
بيان قيد صادق حمزة

حضرة مأمور نفوس صور المحترم

المستدعي : علي مرتضى الأمين شقراء

الطلب : أرجو اعطائي بيان صادق حمزة الفاعور من دبعال .

٢٢ /٢ /١٩٧٨ وأقبلوا الإحترام

المستدعي : علي مرتضى الأمين

يعاد للمستدعي :

لدى التدقيق في سجل مهاجري دبعال :

وجد برقم ١٣ سجل المهاجرين

الاسم : صادق حمزة الفاعور والده : علي والـدته : خـديجة حرب.

تولد ١٨٩٤ أربعة وتسعون دبعال . مسلم شيعي .. متأهل .. مهاجر إلى شرقي الأردن سنة ١٩١٩ ..

٢٢ /٢ /١٩٧٨

الكاتب ..	مأمور نفوس صور
التوقيع	التوقيع والخاتم
محمد عيديبي	إبراهيم حلاوي

ملحق رقم ٢

من نص كتاب وفد إجتماع صيدا إلى صادق حمزة :

« إن مسعانا بتأمين الفارين من صيدا عارضه شبوب الثورة من جديد وهجوم العصابات على قرى الشقيف . وهذا يؤدي حتماً إلى خراب الوطن ويحول دون السعي في التفاهم بين المسلمين الشيعة والمسيحيين . الذين لا يرجع الوطن إلى ما كان عليه من الأمان والراحة إلا باتفاقهما .

ونحن نستحلفهم بالله أن يكفوا . فقد لبسنا ـ الشيعة ـ ثوب العار بنظر العالم المتمدن . »

مذكرات أحمد رضا العرفان مجلد ٣٤ جزء ٣ . الصفحات : ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

ملحق رقم ـ ٣ ـ

من جواب صادق حمزة للزعماء .

« . . إننا كنا سابقاً مقيدين بأوامركم وإنكم طالما أخذتم إصلاح أمر هذه الحكومة على عاتقكم . ولما لم يتم ذلك لكم خرجنا عن طاعتكم لأننا رأينا الحكومة مطيعة لأهل الأهواء الذين يريدون ويعملون على إثارة الثائرة في جبل عامل حتى أهرقت الدماء وهدمت الجوامع والكنائس والمساكن . . ورأينا أن الحكومة التركية كانت تفضل المسيحيين علينا في المعاملة وهي دولة مسلمة . . فكنا نطيعها بذلك حالاً لعملها على المصلحة . . ولكن الدولة الفرنسية وهي مسيحية ولأننا من غير دينها فعليها أن تجلبنا بالحسنى . . ولكن الفرنسيين وأتباعهم من أبناء وطننا يريدون إتلاف هذه الطائفة في جبل عامل .

إن أوامركم يا سادتي قد تأخرت عن وقتها لأن الحماس والثورة قد عمت أقطار البلاد وليس في مقدورنا وحدنا الوقوف في وجهها وهي مختلفة من كافة المسلمين : من الشيعة والسنة وكلهم يتلهفون على ضياع بلادهم وهدم بيوتهم وهتك أعراضهم ونهب أموالهم وديارهم .

فالآن إطاعة لله ولأوامركم وإستجلاباً لرضى الحكومة

نقف نحن خاصة ولا نتمكن من إيقاف غيرنا لأن الغيرة الإسلامية عمت أركان البلاد .

ويليها التواقيع

أحمد محمد بعلبكي . . حسين علي ندى مصطفى حمزة
صادق حمزة

ملحق رقم ـ ٤ ـ

لائحة بأسماء بعض الذين رافقوا صادق حمزة منذ خروجه على الأتراك ولازموه حتى ضياعه .

مع العلم أنه بالإضافة إلى الأسماء التالية فقد رافق صادق حمزة مجموعة أشخاص من أماكن وجنسيات مختلفة وقد بلغ عددهم حسب بعض الروايات حوالي ٣٠٠ شخصاً .

وعلى سبيل المثال أذكر أسماء بعض المدن التي ورد ذكرها لكونها مواطن أشخاص رافقوا صادق . فهي تشير إلى جنسيات مختلفة .

المدينة المنورة (الحجاز) نجد (الحجاز) عرب القدس ـ شبعا(شمالي سوريا) عرب الحولة (فلسطين) عرب الهيب (فلسطين) زنوج (عددهم ٧) (أفارقة) .

العدد	الإسم		العدد	الإسم	مكان ولادته
١	إبراهيم عطية	دبعال		حسن علي ندى	تولين
٢	ابراهيم دايخ	جويا	١٢	مصطفى حمزة	دبعال
٣	حسن خليل مغنية	طيردبا		نعمة عسكر	جويا
٤	خليل سليمان	دبعال		أحمد سعيدي	جويا
٥	درويش علي دايخ	دبعال		موسى جمعة	المالكية
٦	عبدالله مزيدو	المجادل	١٦	محمود خليل ذياب	بافليه
٧	عبد الحسين سرور	كونين	١٧	عباس راضي	بنت جبيل
٨	حسين الشيخ	دبعال	١٧	عباس راضي	بنت جبيل
٩	علي حرب	تولين	١٩	الحاج عبد سلمان	طيرزبنا
١٠	أحمد بعلبكي	تولين	٢٠	محمود قاسم	البازورية

ملحق رقم ـ ٥ ـ

أشخاص كانوا مع صادق حمزة . . أو عرفوه . . .

وهم بعد على قيد الحياة . . زرتهم وسمعت منهم الكثير من أخبار صادق .

أ ـ من رفاق صادق .

١ ـ ابراهيم عطية دبعال
٢ ـ خليل سليمان دبعال
٣ ـ عبد الله فريدو (الرحّال) المجادل
٤ ـ نعمة عَكَر جويا
٥ ـ الحاج عبد المطلب سلمان طيرزبنا (الشهابية) .

ب ـ من الذين عرفوا صادقاً :

١ ـ حبيب صوفان جويا
٢ ـ محي الدين عرفان جشي جويا (نجل القتيل عرفات جشي ـ جويا)
٣ ـ صبحي زيدان جويا (نجل القطب السياسي سليم زيدان) .

ج ـ من الذين سمعوا أخبار صادق اخترت :

١ ـ عبد الأمير كمال دبعال
٢ ـ أحمد كمال دبعال
٣ ـ علي يوسف فاعور دبعال (ابن شقيق صادق . . وهو مختار البلدة) .

ملحق رقم - ٦ -

أسماء وقرى ورد ذكرها في النص وتحديد القضاء الحالي الذي تعود إليه .

العدد	اسم البلدة	القضاء	العدد	اسم البلدة	القضاء
١	دردغيّا	صور		عين إبل	بنت جبيل
٢	النفاخيّة	صور		رميش	=
٣	الطويري	=		تبنين	=
٤	صور	=		برعشيت	=
٥	قانا	=		القوزح	=
٦	البازورية	=		صفد البطيخ	=
٧	عين بعال	=		ياررون	=
٨	المنصورة	=		القوزح	
٩	جويا	=		الغندورية	=
١٠	علما الشعب	=		القليعة	مرجعيون
١١	دبعال	=		دير ميماس	=
١٢	المجادل	=		الخربة	=
١٣	دبل	بنت جبيل		مرجعيون	=
١٤	النبطية	النبطية		بلاط	=
١٥	حبوش	النبطية		حاصبيا	حاصبيا
١٦	القعقعية	النبطية		كوكبا	حاصبيا
١٧	طلحة	من قرى الحولة		القنيطرة	الجولان سوريا
١٨	المطلة	منطقة مرجعيون		طفس	

كانت ملك آل رزق الله
وبيعت من روتشيلد اليهودي
فأصبحت فلسطينية

ملحق رقم ـ ٧ ـ

أسماء أمكنة ورد ذكرها في البحث

العدد	اسم المكان	التعريف بموقعه
	وادي المغاور	مجرى بين قرى : وادى جيلو ـ عيتيت ـ جويا مزرعة مشرف
	عين بوكسية	جنوبي وادي المغاور نبع ماء
	خان محمد علي	كان نزلاً (فندقاً) على الطريق الساحلية بين صيدا وصور
	جسر الخردلي	جسر فوق مجرى نهر الليطاني على طريق: النبطية ـ مرجعيون
	المُصَيْلِحْ أو (المُسَيْلِحْ)	تمر به طريق : الزهراني ـ النبطية . وهو كثير التعاريج وقد أُزيل حديثاً . . بعد فتح (الأتوستراد)
	وادي الحجير	نبع ماء جارٍ . . على طريق الغندورية ـ القنطرة . قضاء مرجعيون . . وقد دخل التاريخ باجتماعاته
	عين الراموح	نبع ماء في خراج بلدة باريش (الجنوب الغربي)
	البقبوق	بستان معروف يقع إلى شمالي مدينة صور وهو على شاطىء البحر
	عين ضبور	نبع ماء في أرض الحولة وعلى مقربة من طلحة
	الرمالة	أرض تملكها الدولة جنوبي صور

الملحق رقم ـ ٨ ـ

أسماء أشخاص ورد ذكرهم في النص .

علي خلقي : ضابط عراقي . . درب الفرق المسلحة في عامل .

أبو زلكي (زكلي ـ زقلي) : جندي ألباني جاء مع الأتراك والتحق بالثوار وأصبح صاحب مجموعة تعمل بامرته .

محمود أحمد بزي : رئيس عصابة ـ لبناني من بنت جبيل .

شبلي بيضون : من رجال صادق ـ الشهابية (طير زبنا) .

رشيد الغصيني : رئيس عصابة .

عبد الحوراني : رئيس عصابة .

محمد علي حدرج الهونيني : مسلح .

رشيد عطية : رئيس عصابة .

عودة أبي تايه : زعيم عرب الحويطات .

حسين الشيخ : شقيق صادق .

عباس راضي : من رجال صادق من بنت جبيل .

عرفات جشي : قتله رجال صادق في جويا .

محمد كريدي (الجردلي) : متطبب غير مرخص . . كان يقيم في بلدة معركة .

عبد الحسن سرور : من رجال صادق . . قاتل الجردلي . . وهو من كونين .

عارف بك الحسن : رئيس فرقة .

الحاج إسماعيل أفندي يحي : من وجهاء مدينة صور والد كاظم الخليل الوزير والنائب .

أسعد بك : وزير داخلية لبنان عام ١٩٢١ .
علاء الدين الدروبي : رئيس وزراء سوريا ١٩٢١ .
أحمد رضا : رجل دين وفكر ومؤرخ وعضو في المجمع العربي بدمشق .
عبد الحسين محمود الأمين : رجل دين لعب دوراً بارزاً . . شقراء .
طانيوس عبده : رئيس تحرير جريدة لسان الحال .
السادة : **رشيد نخلة** ، **اسبر شقير** ، **داود نحول** ، **نسيب بك صبرا** : من وجهاء الطائفة المسيحية . . .

المـراجـع

١ ـ الأمين : محسن : خطط جبل عامل جزءأول طبعة أولى ١٩٦١ مطبعة الإنصاف بيروت .

٢ ـ الأمين : حسن : عصر حمد المحمود والحياة الشعرية في جبل عامل طبعة ١٩٧٤ ، دار الرائد الإسلامي ، بيروت .

٣ ـ أنطونيوس : جورج : يقظة العرب . ترجمة الدكتورين : ناصر الدين أسد وإحسان عباس ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ دار العلم للملايين . بيروت .

٤ ـ جابر آل صفا العاملي : محمد : تاريخ جبل عامل منشورات دار متن اللغة ، بيروت (لا دار نشر ـ لا طبعة ـ لا تاريخ طباعة) .

٥ ـ الراسي : لئلا تضيع ، الجزء الأول مؤسسة نول بيروت (لا طبعة ـ لا تاريخ طبعة) .

٦ ـ الراسي : سلام : المؤلفات الكاملة ، مؤسسة نوفل ، طبعة ثانية ١٩٧٧ بيروت .

٧ ـ نور الدين زين : زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة سورية ولبنان ، دار النهار للنشر طبعة ثانية ١٩٧٧ ، بيروت .

٨ ـ نور الدين زين : زين : نشوء القومية العربية ، دار النهار للنشر بيروت ، طبعة ، ثانية ١٩٧٢ .

٩ ـ الزين : علي : مع الأدب العاملي ، طبعة الجديدة (لم تذكر الـدار ولا الطبعة ولا التاريخ) .
١٠ ـ الزين : علي : للبحث عن تاريخنا في لبنان ، طبعة أولى ١٩٧٣ (لا دار نشر ـ ولا تاريخ طباعة ـ ولا عدد الطبعات) .
١١ ـ ضاهر : مسعود : تاريخ لبنان الإجتماعي دار الفارابي بـيروت ط/١ ١٩٧٤ .

الصحف والمجلات

١ ـ العرفان (مجلة) : مجلد ٣٣ الأجزاء ٢ ـ ٣ ـ ٥
مجلد ٣٤ الأجزاء ٣ ـ ٦ ـ ٨
مجلد ٣٥ جزء ٧ .

٢ ـ لسان الحال (صحيفة): عام ١٩٢٠ .

٣ ـ المشرق (مجلة) : مجد ١٨ عدد ١٠ تاريخ ١٩٢٠ .

٤ ـ الحرية (مجلة) : العددين ٨٤٥ و٨٤٦ .

٥ ـ البشير (صحيفة): سنتي : ١٩١٩ ـ ١٩٢٠

أ ـ عام ١٩٢٠ الأعداد

٨ أيار ، ٢٥ أيار ، ١١ أيلول ، ١٨ ت٢ ، ٢٢ ت٢ .

ب ـ عام ١٩٢٠ الأعداد

٧ شباط ، ٣ نيسان ، ٢٠ نيسان ، ٢٩ نيسان ، ٥ أيار ، ٦ أيار ، ٧ أيار ، ٨ أيار ، ١٣ ك٢ .



صادق حمزة الفاعور